العدد الثالث من السنة الرابعة — صفر سنة ١٣٦٢ — مارس سنة ١٩٤٣

مجلة
الشؤون الاجتماعية

تصدرها شهريا وزارة الشؤون الاجتماعية

مدير التحرير : حسن الشريف : تليفون ٨٥٣١٢

القاهرة
طبعت بالمطبعة الأميرية ببولاق
١٩٤٣

فهرس العدد

		صفحة
كيف ينبغي أن يكون النظام القضائي	توفيق دوس باشا	٣
كيف ينبغي أن تكون الأخلاق	أحمد لطفي السيد باشا	١٢
العلاقات الدينية بين الأمم	الدكتور منصور فهمي بك	٢٠
الاسلام دين الخدمة الاجتماعية		٢٩
الموظف ماله وما عليه نحو المجتمع	أمين خيرت الفندوربك	٣٣
الاتجاه الاجتماعي القومي في شؤون التعليم	الأستاذ سيد قطب	٣٧
الثروة الحيوانية الضائعة		٤٤
الشباب المصري	الأستاذ صلاح الدين الشريف	٥٠
الأسرة السعيدة	الكاتبة زينب محمد حسين	٥٥
جولات في معاهد الاصلاح	الأستاذ محمد عبد الكريم	٦٠
الشباب والخدمة الاجتماعية		٦٦
ملاحظات تائرة		٧٠
مروحة اليدى وندرمير (تمثيلية اجتماعية)		٧٣

النظام القضائى فى مصر

وكيف ينبغى أن يكون

لحضرة صاحب السعادة توفيق دوس باشا

"المحاضرة القيمة التى ألقاها سعادته بالجامعة الأمريكية فى الشهر الماضى"

سيداتى سادتى :

إذا كان من واجبى — فى كل مرة أعتلى هـذا المنبر لألقى محاضرة — أن أتقدم بوافر الشكر للجامعة الأميركية أن هيأت لى الفرصة لأساهم فى ذلك العمل الثقافى الضخم الذى تقوم به هذه الجامعة عن طريق قاعة يورت التذكارية أو هذه القاعة الشرقية، فإننى أرى هذا الواجب مضاعفا هذه المرة لأن الموضوعات التى تخيرتها الجامعة الأميركية لمحاضرات هذا العام من أكثر الموضوعات صلة بالظروف القاسية التى يمر بها العالم والمحنة الشديدة التى يمتحنه بها القدر .

لقد عنيت الجامعة الأميريكية هـذا العام فى هذه المحاضرات بالحرب وما بعد الحرب وما ينبغى أن تكون النظم المختلفة فى مصر لتساهم فى التعاون العالمى المنشود بعـد الحرب ، ولقد سبقنى على هذا المنبر هذا العام بعض خيرة العلماء والباحثين وصفوة الخطباء والمفكرين فتكلموا فيما ينبغى أن يكون عليه النظام فى مصر لتساهم فى التعاون العالمى المنشود من الوجهة الاقتصادية والاجتماعية والثقافيـة إلى غير ذلك ، ثم جاء دورى فى الكلام على ما ينبغى أن يكون عليه النظام القضائى فى مصر لتساهم فى التعاون العالمى بعد الحرب .

وإذا ذكرنا هذه الحرب، تمثلت أمامنا فورا تلك الكوارث والبلايا التى تصبها الانسانية على الانسانية فى القرن العشرين ، قرن المدنية والرقى والتقدم ، بل تمثلت أمامنا فورا تلك الألوف ومئات الألوف من الضحايا البشرية وجلها إن لم يكن كلها من خيرة الشباب فى العالم تضحيها مطامع أفراد لا يتجاوز عددهم أصابع اليدين على مذبح الهوى والرغبة الجامحة فى سيادة العـالم والسيطرة على حرية الشعوب والأفراد وعقولهم وضمائرهم ليصبح الكل آلات صمـاء توجهها الحكومات أنى شاءت وكيف شاءت ، وبذلك تطوى تلك الصفحات المجيدة من من صفحات الإنسانية ، تلك الصفحات التى قررتهـا الثورة الفرنسية وما إليها من تقرير حقوق الانسان ومبادئ الحرية والإخاء والمساواة .

أيها السادة :

إن المشاكل التى سيواجهها العالم بعد انتهاء الحرب لن تقل فى نظرى عن مشاكل الحرب ذاتها إن لم تكن أكثر تعقيدا منها، سواء فى ذلك المشاكل الاقتصادية أو الاجتماعية أو القضائية وغيرها . ذلك أن جميع النظم التى نعرفها الآن والتى تلقيناها فى دور العلم ستنقلب كلها رأسا على عقب كنتيجة لهذه الحرب . أما ما ستنقلب اليه فمخبوء فى بطن الغيب لا يعلمه إلا الله وأشك كثيرا فى أن يعلمه الراسخون فى العلم. ولأضرب لكم مثلا واحدا يبين لكم صعوبة حل هذه الاشكالات .

لقد كان من نتائج الحرب الكبرى الماضية أن أصبح كل التعامل تقريبا يجرى بواسطة ورق النقد . وحتى يكون للورق قيمة وضع الاقتصاديون أسسا لإصداره ومن أهمها أن يكون له غطاء من الذهب يتراوح بين نصف قيمته أو ثلث قيمته أو ما يقرب من ذلك . فاذا أصدرت دولة من الدول أوراقا للنقد بقيمة مائة مليون من الجنيهات وجب أن يكون لديها فى خزائنها نصف هذه القيمة من الذهب أو ثلثها . ثم اضطر الاقتصاديون بعد ذلك إلى الاستعاضة عن الذهب فى بعض الأحوال بسندات قروض الحكومات أو أسهم الشركات والبنوك المليئة الثابتة الحسنة الإدارة . على أن أساس تقدير قيمة هذه القروض أو السندات إنما هو فى مجموعها نسبتها كذلك إلى الذهب سواء بسواء .

جرى الحال على هذا المنوال إلى أن قامت الحرب الحالية واستلزمت من المصاريف لإدارتها أن اضطرت الدول جميعا إلى إصدار ورق النقد تعمل فيه المطابع ليل نهار لمقابلة تلك الأرقام الضخمة التى تصرفها الدول كل يوم . أفتدرون ما هو الرقم الذى أثبته الإحصاء العام عن قيمة الأوراق البنكية المتداولة فى العالم فى آخر ديسمبر سنة ١٩٤١؟ لقد وصل الى ثلاثمائة ألف مليون جنيه . واعتقادى أنه فى ديسمبر سنة ١٩٤٢ لا بد أن يكون قد وصل الى خمسمائة ألف مليون جنيه . وهل تعلمون مقدار الذهب فى العالم كله؟ لقد كان فى آخر ديسمبر سنة ١٩٤١ خمسة آلاف مليون جنيه ولا أعتقد أنه زاد شيئا يذكر فى سنة ١٩٤٢. وبعملية حسابية بسيطة تجدون أن غطاء ورق النقد فى العالم كله الآن هو واحد فى المائة من الذهب . قولوا لى بحقكم كيف يكون الحال عند انتهاء الحرب وما الذى ينتظر النظرية الاقتصادية من وجوب إيجاد غطاء لورق النقد بنسبة معلومة من الذهب . ستقولون لى وماذا يكون الحال إذن ؟ لا أدرى ولا أعتقد أن أحدا غيرى الآن يدرى ؟ ولكن مما لا شك فيه أنه يجب إيجاد حل للنظام الاقتصادى غير ما هو معروف الآن . وسيجده الباحثون وسيصلون إليه يوما ما .

لهذه المشكلة ولغيرها من مشاكل المتعطلين بعد الحرب ، ومشاكل الحواجز الجمركية ، ومشاكل المواد الأولية وتوزيعها بين الدول ، ومشاكل نظام المستعمرات ، ونظام التسليح ، وما الى غير ذلك ، تكونت فى معظم الدول الكبرى لجان همها الأول وضع هـذه النظم من الآن حتى لا يفاجأ العالم عند انتهاء الحرب بأن يجد نفسه وجها لوجه أمام هذه المشاكل . ثم يأخذ فى البحث عن حلها فيضيع على الإنسانيـة وقت كبير — وقد يكون كبيرا جدا — فى الوصول الى تلك الحلول . وكل ما أرجوه ويرجوه معى كل من تهمه سعادة الانسانية أن يصل أولئك الباحثون الى الحل الموفق السديد .

على أن أهم تلك المشكلات فى نظرى ونظر أولئك الباحثين هو إيجاد نظام يضمن للعالم عدم العودة الى الوحشية مرة أخرى بإثارة حرب جديدة بعد قليل من الزمان . وهذا يجرنا فورا الى الدخول فى موضوع محاضرتى هذه الليلة إذ لا يمكن أن تقمع الروح الشريرة التى تعشق الولوغ فى الدماء ولا تعيش إلا بالتخريب والتدمير ، لا يمكن أن تقمع تلك الروح الشريرة إلا بوجود هيئة قضائية عليا تقضى عليها القضاء المبرم كلما أرادت أن تتنفس فتكتم أنفاسها قبل أن تقدم على أولى خطواتها لتلقى بالعالم من جديد فى آتون من نار ، ولن يكون لهـذه الهيئة القضائية قيمة ولن يكون لقراراتها ما يجب لها من الاحترام إلا إذا كان لديها من القوة التنفيذية ما يمكنها من إملاء إرادتها بتنفيذ أحكامها على من تصدر عليهم هـذه الأحكام . فان أحكام القضاء فى العالم كله إنما هى حبر على ورق إذا لم يوجد المحضرون الذين ينفذونها ووراءهم قوة الدولة بأجمعها تؤيدهم فى ذلك التنفيذ .

ولقد فكر الحلفاء فى هذا عقب الحرب العالمية السابقة فأنشأوا عصبة الأمم كمحكمة دولية توقف المعتدى عند حده واعتقدوا أنهم وصلوا بذلك الى الحل الذى يضمن للانسانية سلامها الدائم واختفاء شبح الحروب الى أمد طويل . ولكن الزمن والتجربة أثبتا مع الأسف الشديد أن تلك الهيئة ولدت سقطا . فقد اعتدت ايطاليا وكانت أحد أعضاء العصبة على الحبشة وكانت كذلك من أعضاء العصبة ، وطوحت باستقلالها ومعظم أعضاء العصبة متفرج على هذه المأساة . كذلك كان شأن الصين مع اليابان . ولقد كان العيب فى نظرى كل العيب هو أنه لم يكن لدى العصبة القوة المادية لتنفيذ قراراتها . ولو كان لديها هذه القوة مهما كلفها إيجادها لأمكن تفادى هـذه الحرب الحالية والتوفير على العالم مئات أضعاف ما كانت تكلف هذه القوة من المصاريف فوق ما كان يوفر على الانسانية من تلك الضحايا البشرية التى لا يعلم إلا الله عددها ، وذلك الخـراب والدمار اللذين حلا بالعـالم واللذين يحتاجان الى ما لا يخطر بالبـال من مال ومجهود لإعادة البناء والتعمير .

تلك فى نظرى هى أهم ما يجب البحث فيه من الآن لتوضع أسسه بعد الحرب مباشرة . وإن كان لمصر أن تساهم فى هذا النظام القضائى العام فإنما هو من الطبيعى لأن مصر من الأمم

الصغيرة التى ليس لها جيش يذكر بالمقارنة مع النظم الحالية للجيوش ، ولأن الفائدة التى تعود على الأمم الصغرى من وجود هذه المحكمة الدولية إنما أقله الدفاع عن كيانها وضمان وجودها وبقائها متمتعة بما لها ولأفرادها من الحرية والسلطان .

أما نوع تلك المساهمة فقد يكون معنويا أكثر مما هو مادي ، ونظريا أكثر مما هو فعلى اللهم إلا أن يكون لها ضمن القوة التنفيذية لأحكام تلك الهيئة القضائية نصيب من أبنائها وجزء من موالها فتشترك بهذا وذاك ، على ما تسعه طاقتها فى ذلك العمل الجبار والمجهود الضخم الذى يشيد قصر السلام فى العالم فيعيش الناس مطمئنين على مستقبلهم ومستقبل أولادهم ولو إلى حين .

لقد درسنا فى كليات الحقوق بين مادرسنا من مختلف القوانين ، ما كانوا يسمونه القانون الدولى العام والقانون الدولى الخاص ، وهما ما يرتب العلاقات بين الدول كما ترتب القوانين الأخرى العلاقات بين الأفراد . ولقد كان من نصوص هذه القوانين أنه لايجوز لدولة ما أن تعلن الحرب على الأخرى قبل الإنذار . ولقد رأيتم فى هذه الحرب كيف أن اليابان شنت الحرب شعواء على أمريكا فى الوقت الذى كان سفيرها فى البيت الأبيض يتفاوض مع المستر روزفلت ، كما رأيتم كيف أن ايطاليا اجتازت الحدود الفرنسية فى تلك اللحظة التى وقعت فيها فرنسا التعسة ، فرأيتم بهذا وذاك كيف أن القوانين الدولية ديست بالأقدام وكيف أن نصوصها اعتبرت قصاصات لاتساوى الورق الذى طبعت عليه ، ورأيتم ماجر هذا التصرف على الإنسانية من ويلات .

أفتبقى هذه الحال بعد الحرب ؟ إننا إذن لتعساء وإن الانسانية إذن لترى فى مستقبلها شرا مما ترى فى حاضرها ، وسيبقى أتون النار مشتعلا ماتهبا إلى غير ميعاد .

مرة أخرى سيكون القول الفصل فى مثل هذه الأحوال لتلك المحاكم القضائية الكبرى وستوضع العقوبات الرادعة لمن يقدم على مثل هذه الجرائم الدولية . وسيكون لمساهمة مصر فى تلك المحكمة الكبرى على الصفة المتقدمة قيمته إن شاء الله .

على أن هذا النظام القضائى إنما هو خاص بالنظام الدولى . وموضوع محاضرتى الليلة لايقتصر على هذا بل هو يشمل النظام القضائى بوجه عام . ولذلك وجب على أن أطرق فى شىء من التفصيل ما ينبغى أن يكون عليه النظام القضائى فى مصر عقب الحرب لتساهم فى التعاون العالمى المنشود .

وارى أن الكلام فى هذا الموضوع يقتضى أن نذكر كلمة عن النظام القضائى فى مصر قبل الحرب حتى ننتقل بعد هذا الى ما يجب أن يدخل على هذا النظام بعد الحرب لتساهم مصر فى التعاون العالمى العام .

ولعل مصر فى نظامها القضائى الحالى سواء فى ذلك قبل معاهدة مونترو أو بعدها او بعد الغاء المحاكم المختلطة فى سنة ١٩٤٩ ، لمل مصر فى نظامها القضائى هذا هى الوحيدة فى العالم المتعددة الجهات القضائية المختلفة الاختصاصات سواء بالنسبة لشخصيات المتقاضين أو لموضوع النزاع أو لغير ذلك . ذلك أننا كنا نرى فى مصر حتى معاهدة مونترو — حيث كانت الامتيازات قائمة — عددا من المحاكم يساوى عدد الدول المتمتعة بالامتيازات . ومن البديهى أن كل محكمة من هـذه المحاكم لاتعرف سوى قانون بلادها ولا تطبق سواه . فقد كانت المحاكم القنصلية مختصة بالفصل فى جميع القضايا الخاصة بمنقول و جميع القضايا الخاصة بالأحوال الشخصية على تفرعها وتعددها بين رعايا الدولة التى تتبعها تلك المحكمة القنصليـة المقيمين فى مصر . وفوق هذا كله القضاء فى المسائل الجنائية من جنح وجنايات وان كان المجنى عليه فيها مصريا ، فكنت ترى فوق أرض مصر محكمة بريطانية وأخرى أمريكية ثم فرنسية فايطالية فألمانية فبلجيكية فدانمركية فهولندية الى آخر ذلك النظام العتيق الذى خلقته الامتيازات . ذلك الدمل الخبيث فى جسم القضاء المصرى والسيادة المصرية قد انتهى أمره بمعاهدة مونترو . ولكنه لم ينته تماما بل أن له بقية فى جهتين : (الأولى) المحاكم المختلطة حتى سنة ١٩٤٩ و(الثانية) المحاكم القنصلية فيما يتعلق بالأحوال الشخصية .

على أنه ، وقد جاء ذكر المحاكم المختلطة ، يجب علىّ فورا أن أنوه بمـا كان لهـا منذ عهد إنشائها من الفضل الكبير فى تركيز مبـادئ القانون المدنى والتجارى فى مصر ووضعها على أسس ستكون دائما نبراسا يهتدى به المشتغلون بالقضاء والمحاماة . إلا أنه لم يبق هناك محل لانتظار سنة ١٩٤٩ لإنهاء أجل المحاكم المختلطة ، فقد ثبت الآن أن كثيرين من المتقاضين الأجانب لجأوا فى قضاياهم الى المحـاكم الأهلية عملا بمـا لهم من الحق فى الاختيار بين القضاءين الأهلى والمختلط كما ثبت أن محاكمة الأجانب أمام المحكمة العسكرية المصرية تنفيذا للحكم العرفى لم يلق فى غالب الأحيان اعتراضا مع أن بين قضاة تلك المحاكم من الضباط وهم من غير رجال القانون أغلبية فى بعض الأحوال وأقلية كبرى فى البعض الآخر .

يجب فى نظرى أن تبادر الحكومة الحاضرة بمـا لها من قوة يؤيدها البرلمـان بمجلسيه لمفاوضة الحكومتين البريطانية والأمريكية — وهما صاحبتا الشأن فى هذا الموضوع الآن — لقبول إلغاء المحاكم المختلطة بشقيها الجنائى والمدنى إن لم يكن فورا فعلى الأقل عقب الحرب مبـاشرة .

أما القضاء القنصلى فى الأحوال الشخصية فبحثه يندمج فيما أقترح أن يكون عليه النظام إجمالا فى مصر فى هذه الناحية .

أيها السادة :

مشكلة القضاء فى الأحوال الشخصية مشكلة مستعص حلها . لقد انتهينا أو كدنا أن ننتهى من مسألة الامتيازات وما جرته على البلاد من تعدد جهات القضاء فى مصر ومن تأثير هذا على السيادة المصرية تأثيرا عظيما جدا . ولكننا لا نزال نئن من تعدد جهات القضاء الشخصى فى مصر الآن ويعد الآن إذا بقى النظام الحالى معمولا به فى مصر .

يقضى النظام الحالى بتقسيم القضاء فى مصر إلى قسمين كبيرين : القضاء فى الأحوال الشخصية كالزواج والطلاق والنفقة والحضانة والنسب إلى غير ذلك مما يعتبره القانون والشرع ومعاهدة مونترو من صميم الأحوال الشخصية ، والقضاء العام من الحقوق والأموال والأمور الجنائية . أتعلمون ما الذى ترتب على هذا التقسيم ؟ ترتب عليه أن أصبحنا وعندنا المحاكم الشرعية للأحوال الشخصية للمسلمين والمجالس الملية متعددة بتعدد المذاهب والأديان فى مصر لأصحاب تلك المذاهب والأديان ، فهناك المجلس الملى القبطى والمجلس الملى الانجيلى والمجلس الملى للروم الأرثوذكس والمجلس الملى للروم الكاثوليك وغير هذه المجالس لملل أخرى ثم الحاخامخانة لليهود ولعل لها فروعا مختلفة لليهود القرائين وغير القرائين .

ينتج عن هذا أمور غريبة جدا فنجد القاضى الأهلى مسلما كان أو مسيحيا أو يهوديا يحكم فى المحاكم الأهلية فى مال المسلم والمسيحى واليهودى وفى شرفه وحريته وفى حياته فى القضايا المدنية أو الجنائية التى تعرض عليه بصرف النظر عن الدين أو المذهب ، حتى إذا عرضت على تلك المحاكم قضية نفقة تطلب فيها زوجة من زوجها مائة قرش شهريا قبل إنه لا يصلح للقضاء فيها ، بل يجب رفعها أمام محكمة الأحوال الشخصية كما إذا عرضت عليه قضية تطلب فيها الزوجة تطليقها من زوجها أو حق حضانتها لأولادها أو ما شاكل ذلك من الحقوق الشخصية قيل إن القضاء الأهلى لا يصلح لهذا بل يجب ان ترفع الدعوى إن كان مسلما أمام المحكمة الشرعية وإن كان مسيحيا أمام محكمته الملية — على تعدد هذه المحاكم كما تقدم — أو أمام الحاخامخانة إن كان يهوديا .

هذا غير مفهوم فى عصرنا الحاضر فلو أضفت على هذا ما يقوم من الاشكالات عند تعدد المذاهب أو الأديان بين المتقاضين فى قضية واحدة لوجدتم العجب ، فبطرس القبطى الأرثوذكسى تزوج من امرأة انجيلية أو كاثوليكية ثم وقع النزاع بينهما فهل يكون ذلك النزاع من اختصاص المجلس الملى القبطى أو المجلس الملى الانجيلى أو المجلس الملى الكاثوليكى ؟

و إذا تزوج رجل قبطى بامرأة قبطية ثم اعتنق أحد الزوجين الإسلام بعد ذلك فلأية محكمة يكون الاختصاص ولأى قضاء يرفع الأمر ؟

كل هذه الاشكالات ومثلها تكرر وقوعها فى قضائنا المصرى فاضطرت وزارة العدل الى إنشاء لجنة خاصة فى الوزارة اسمها " لجنة تنازع الاختصاص " مأمور بها حل هذه المشاكل ولكنها مع الأسف الشديد لم توفق الى حل فى الكثير منها .

وأرجوان تسمحوا لى بأن أضرب مثلا واحدا مما وقع لى فى حياتى القضائية لعله أغرب مثل فى نوعه . كان يوجد رجل قبطى فى إحدى المدن القريبة من أسيوط . تزوج بابنة عمه ورزق منها ولدا . ثم أراد أن يطلقها فلم يوفق فاعلن اسلامه وطلقها ثم تزوج بمسلمة وانجب منها ولدا و بنتا و بعد ذلك ارتد الى دينه الأصلى واستعاد زوجته الأولى وانجب منها ولدا ثم توفى وحصل النزاع بعد ذلك على تركته فلجأ الأولاد الأقباط الى المجلس الملى الذى حكم حكما نهائيا بانحصار إرثه فيهم دون اخوتهم المسلمين وبنى حكمه على أساس صحيح هو أن اختلاف الدين بين الورثة والمورث مانع من موانع الارث ولجأ الأولاد المسلمون بدورهم الى المحكمة الشرعية وهذه قضت بحكم أساسه أن تقسم تركة المتوفى ثلاثة أقسام : ما كسبه فى حالة نصرانيته الأولى وما كسبه فى حالة اسلامه وما كسبه فى حالة نصرانيته الثانية أو ردته ، فالقسمان الأول والثانى يقسمان بين أولاده المسلمين فقط بناء على نفس السبب الذى ارتكن عليه المجلس الملى من أن اختلاف الدين مانع من موانع الارث ، أما ما كسبه فى حالة نصرانيته الثانية أو ردته فيكون ملكا لبيت المال على أساس أن الشرع يقضى بإعدام المرتد رجما وأنه إذا كانت الشرائع المدنية الحديثة لا تجيز هذا فان المشرع يعتبره فى حكم الميت منذ تاريخ ارتداده ، وعلى ذلك يكون ما كسبه منذ ذلك التاريخ مالا غير مملوك لأحد و بالتالى مملوكا لبيت المال . هذا الحكم أيضا صحيح من الوجهة الشرعية الاسلامية و بذلك وجد الورثة أنفسهم أمام حكمين نهائيين متناقضين صادرين من جهتين كل منهما لها الاختصاص القانونى لإصداره ، فماذا يكون العمل ؟ اشكال ليس من السهل حله . لجأ لى فريق من هؤلاء الورثة لنصرتهم على الفريق الآخر فرأيت أن العدل المطلق يقضى أن جميع أولاد الرجل يقتسمون تركته بالتساوى فيما بينهم بصرف النظر عن اختلاف الدين وأقنعت برأيى هذا جهات الاختصاص الإدارى العليا وأحضرنا الخصوم جميعهم وعقدنا بينهم صلحا على هذا الأساس وانتهى النزاع .

أساس هذه المشاكل وغيرها هو كما قدمت تعدد الاختصاص وتعدد الشرائع ولو أن الشرائع توحدت وتوحد الاختصاص كذلك لقضى على كثير من هذه المشاكل المستعصية واوصلنا بمصر فى نظامها القضائى الى ما وصلت اليه الأمم التى سبقتنا فى هذا المضمار وتوحدت

النظم كلها فى العالم على أساس واحد هو توحيد النظام القضائى فى كل دولة. وستجدون بعد قليل فى القسم الثانى من هذه المحاضرة أننى أرجو أن تعدل مبادئ القانون الدولى الخاص بما يؤدى الى اعتبار قضاء كل دولة نافذا أمام جميع الدول على السواء وبذلك نكون وصلنا الى أرقى ما يمكن أن يفكر فيه من يهتم بالنظام القضائى بوجه عام .

على أننى قبل أن أطرق هذا القسم من محاضرتى أرى لزاما على أن أبين النظام الحالى فيما يتعلق بهذه النقطة حتى يمكننا أن نتفهم ما نريد أن ندخله عليها من التعديل .

قد يصدر حكم فى مصر من محكمة مصرية على شخص مقيم فى انجلترا أو فرنسا أو أمريكا وليس للمحكوم عليه أملاك فى مصر يمكن التنفيذ عليها مما يتبع حتما أن يقع التنفيذ على ما لذلك المحكوم عليه من أملاك فى الدولة الأجنبية فكيف يحصل ذلك وما قيمة الحكم الصادر فى مصر أمام القوة التنفيذية فى الدولة الأجنبية لتقوم بتنفيذه ، هذا هو المشكل . ويختلف حله باختلاف الدول وعلاقاتها مع بعضها البعض . فان بعض الدول يقضى أنه اذا عرض حكم صادر من محكمة أجنبية لتنفيذه فى بلد أخرى وجب إعادة نظر الدعوى كلها من جديد أمام محكمة الدولة المطلوب التنفيذ فيها . وبعبارة أخرى لا يكون للحكم الأجنبى أية قيمة فى نظر الدولة المطلوب التنفيذ فيها كما أن بعض الدول يكتفى بالتعرض لصحة الإجراءات التى حصلت أمام محاكم الدولة التى أصدرت الحكم دون التعرض لموضوع النزاع فان وجد أن الإجراءات كانت صحيحة نفذت الدولة الحكم . وفريق آخر رأى عقد اتفاق بينه وبين بعض الدول على أن أحكام الواحدة تكون نافذة عند الأخرى بمجرد تقديمها لتوضع عليها الصيغة التنفيذية للدولة المطلوب التنفيذ فى أراضيها .

كل هذه الأوضاع والمبادئ يجب أن تغير بعد الحرب. إن أثمن ما تحارب الأمم فى سبيله الآن إنما هو الوصول الى أرقى ما يمكن البشر الوصول اليه من حقوق المساواة بين الناس أفرادا وشعوبا وحكومات . بل يمكن القول إن ما ترمى اليه الديمقراطيات فى هذه الحرب إنما هو ما تمخضت عنه الثورة الفرنسية الكبرى مع الفارق. إن الثورة الفرنسية قررت الحرية والمساواة والإخاء بين الفرنسيين وان كانت هذه المبادئ السامية قد اقتبسها بعد ذلك كثير من الدول إلا أن هناك دولا لا تتبعها ، كما أن جميع الدول فى علاقاتها مع بعضها البعض لا تنفذ هذه المبادئ وان كانت تنفذها داخل حدودها بالنسبة للأفراد .

لهذا نطمع فى أن تعم هذه المبادىء بعد الحرب علاقة الدول بعضها مع بعض فيما يتعلق بالقانون الدولى الخاص وينتج عن هذا أن يكون لقضاء كل دولة من الاحترام لدى العالم أجمع ما لذلك القضاء لدى تلك الدول بالذات بحيث إذا صدر حكم ما صحيحا فى إجراءاته فى مصر وجب أن يعتبر صحيحا فى أية دولة يطلب فيها تنفيذه والعكس بالعكس .

عندئذ يشعر الناس بأنهم أخوة متضامنون فى عائلة كبرى واحدة هى عائلة الانسانية أجمع متساوون فى حقوقهم وواجباتهم بأوسع معانى المساواة .

وينتج عن هذا حتما ما أشرت اليه فى هـذه المحاضرة أثناء الكلام على المحاكم القنصلية فى مصر مما يتعلق باختصاصها فى مسائل الأحوال الشخصية فان هـذ الاختصاص يمحى بطبيعة الحال وتكون المحاكم المصرية المختصة فى محاكمة الأجانب فيما يتعلق بأموالهم وأعراضهم وحريتهم وحياتهم هى أيضا المختصة بالقضاء فى أحوالهم الشخصية .

ينتج من كل ما تقدم أن يكون هناك نوعان من القضاء فى العالم لا ثالث لهما: القضاء بين الأفراد تنتشر هيئاته فى جميع الدول لكل منهـا من القوة ما لمثيلاتها فى أية دولة أخرى وتكون أحكامها واجبة التنفيذ فى العالم كله ما دامت قد صدرت صحيحة الإجراءات فى المحكمة التى أصدرتها. والقضاء بين الدول فى تلك المحكمة الدولية الكبرى تصدر حكمها فى كل اعتداء يقع من دولة على أخرى ويكون حكمها واجب التنفيذ بما يقوم وراءه من تلك القوة التنفيذية العامة .

سيداتى سادتى :

لقد مرت على الانسانية فى العصور المختلفة كوارث وويلات جرتها عليها المطامع الفردية تارة والجنسية تارة أخرى والدينية تارة ثالثة ولكنها لم تمر عليها فى جميع تاريخها كارثة كالتى تمر فيها الآن بذلت فيها — ولا تزال تبذل — طوفانا جارفا من الآلام والتضحيات والدماء والدموع بل هى بذلت فيها أضعاف ما بذلت مجتمعا فى القرون التى خلت . فهل قدر لهـا أن تصل الى هدفها الأسمى بحيث يكون النظام الجديد الذى تنشده والذى يسعى زعماء العالم الآن للوصول اليـه محققا مبادئ المساواة والحرية والاخاء للشعوب فيتحرر الجميع من قيود الخوف والفاقة ويتعاونون تعاونا خالصا لوجه الله يسعد به الناس فى مختلف أنحاء العـالم فتتم كلمة الروح "وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة" .

عندئذ يكمل إيمان الناس جميعا بأن يحب كل إنسان لأخيه ما يحبه لنفسه ويضع كل منهم يده فى يد أخيه للعمل على ترقية شؤون الجميع اقتصاديا واجتماعيا وصحيا فيصبح للكل وجهة واحدة هى وجهة الخير ابتغاء وجه الله فترفرف راية السلام والطمأنينة على العالم لأمد طويل ونصبح فى جنة تقرب كثيرا مما وعد الله عباده المتقين

توفيق دوس

كيف ينبغى أن تكون الأخلاق لتحقيق تعاون عالمى

لحضرة صاحب السعادة الأستاذ أحمد لطفى السيد باشا

التعاون العام بين أمم العالم موجود على وجه متقطع وكيفما اتفق أن يكون ليس خاضعا لنظام معين . غير أن هذا ليس هو التعاون الذى يقصد اليه ميثاق الأطلنطى . بل التعاون المقصود بهذا الميثاق هو التعاون المستمر الذى يمنع الاعتداء و يؤدى إلى السلام الدائم .

بادئ بدء لا ينبغى أن نخدع أنفسنا فيما يعترض هـذا التعاون من صعوبات أعسرها تذليلا هو الإيمـان به . فإذا نحن تشبثنا بسنن المـاضى وما ألفناه فيه من أخلاق الناس على العموم وأخلاق قادة الشعوب على الخصوص . وما سجل التاريخ من ألاعيب السياسة وغدرها وقدرنا قوة أنصار الحرب والعاملين عليها والمنتفعين من ورائها و يئسنا من أن نقطع الصلة بين ماضى الإنسانية و بين مستقبلها فى هذا الصدد فما أشبه الليلة بالبارحة وما أشبه التعاون الذى ندعو إليه بنظام جمعية الأمم المـاضية . ولا يرى أنصار الاعتداء فى كل هذه الجلبة إلا أنها صلف تحت الراعدة .

أما إذا رجونا الخير وقدرنا ما نحن فيه اليوم من الضرورات الاجتماعية والحرج السياسى وقدرنا أن العالم أصبح لا يطيق بعد الآن حروبا على غرار الحروب الحاضرة . وقدرنا حق قدره الارتقاء الاجتماعى فى العالم ثم قدرنا أن هذا التعاون المرجو لم يأت طفرة بل هو فكرة اختمرت فى ضمير العالم وتداولتها بالبحث والتجربة عدة أجيال ، وقدرنا أن التجربة القاسية للأخطاء المـاضية ستنفع العالم فى تسديد خطاه إلى الخير . متى قدرنا كل ذلك وجب أن نتقبل مشروع التعاون المـانع من الاعتداء والمفضى إلى السلام الدائم بغاية الارتياح وآمنا به وعملنا على تحقيق وسائله . فلقد آن لضمير العالم أن ينتبه و يجعل الإخاء الانسانى حقيقة واقعة بعد أن لم يكن إلى الآن إلا لفظا ليس له ما يدل عليه .

الواقع من أمر النـاس فى الأمم المختلفة وفى المدنيات المتعاقبة أنهم بوازع من قانون الأخلاق الذى نشأ بنشوء الدولة و بوازع من سلطان البوليس والقضاء قد اعتادوا أن يتعاونوا فى معيشاتهم المدنية بالحسنى وتركوا عاداتهم الأولى فى العدوان والجرى على أحكام "حق الأقوى" التى ألفوها أزمانا طوالا فيما قبل المدنيات المنظمة . هذا هو حال أفراد الناس الآن فى الأمم المتمدنة منازعاتهم يفصل فيها القضاء و يزع سلطان البوليس بعضهم عن الاعتداء على بعض. وأصبحوا يرون جريمة داعية إلى الاحتقار ومستحقة للعقاب ما كانوا فى حال البداوة يتمدحون به و يجعلونه مناطا للعزة ومجلبة للشرف والفخار .

إذا ليس الظلم والعنف فى الناس أمرا طبيعيا لامناص منه كما قد يظن إنما كان ذلك فيهم قبل نظام الدول عادة اعتادوها آلافا لاتحصى من السنين . كان الأفراد فى كل لحظة محلا لافتراس السباع اقتضاهم ذلك أن تكون حياتهم فى حرب متصلة ودفاع مستمر فلما اطمأنوا من هـذه الناحية استمرت عادة الهجوم والدفاع فى أنفسهم غير أنها تحولت إلى أن تكون حربا بينهم حتى قضت عليها المدنية المنظمة بالبوليس والقضاء .

تلك حال الأفراد وأما حال الأمم أو بالأولى حال الحكومات فلم تجد كما وجد الأفراد تحت ضغط الضرورات الاجتماعيـة قانونا للأخلاق ولا محاكم تفض النزاع بينها ولا بوليسا يمنع الحكومات من اعتداء بعضها على بعض . بقى فيها روح الفرد الأولى روح القبيلة روح الاعتداء على الغير استعلاء عليه واستعبادا له وطمعا فى أرضه ومرافقه . و بالجملة بقيت كل حكومة حتى فى هذه المدنية الحاضرة تضمر أن تنتزع بالقوة من أمة أخرى مالها من المرافق من غير وازع ولا حياء . و إذا فقد ظفرنا من المدنيات القديمة بأدب الأفراد ولم نظفر بأدب لحكوماتها يمنعها من الاعتداء والطغيان .

ومن العجب أن الفلسفة اليونانية مع أنها استوعبت بحث الأشياء الإنسانية لم تتعرض ولا عن طريق التخيل إلى إمكان القضاء على الحرب بين الأمم . ولم تفكر فى تحقيق الإخاء الإنسانى العام ولا فى السلام الدائم . بل لعلها شجعت الحرب تارة وقست فى نتائجها تارة أخرى . كذلك الفلسفة الرومانية والفلسفة العربية لم يكن فيهمـا نظرة فى ذلك الإخاء بين الأمم المختلفة كما نظرت كلاهما فى الاخاء بين أفراد الأمة الواحدة إلا ماسموه "السلم الرومانى" ومن الخير ألا نتعرض لذكره لأنه لايفيد شيئا فى موضوع التعاون العالمى المنشود .

فأما أن الحرب من طبع الإنسان فتلك فكرة انتزعها كتاب وفلاسفة مما هو الواقع . ومن طريف مايؤثر عن أنصار الحرب ماتقله أميل فاجى عن أحد التيازفة أو الصوفية القائلين بوحدة الوجود قال " الحرب إلهية فى ذاتهـا لأنها قانون العـالم " . " الحرب الهية فى المجد الخفى الذى يحيط بها وفى الجاذبية الخفية التى تجـذبه اليها" . " الحرب الهية فى الحمـاية الموهوبة للقواد العظام " . إلى أن قال " الحرب الهية بنتائجها التى تعرب عن تقديرات الناس " قال اميل فاجى كل هذه الجمل تساوى أنه يقول " الحرب الهية لأنها مخيفة" .

و بالجملة فإن أهم دليل على طبيعيتها هو قدمها والقدم من حيث هو لا يصحح فاسـدا ولا يفسد صحيحا . والذى يراه أنصار السلام هو أن الحرب ليست من طبع الإنسان كالعائلة والأبوة والعمل بل هى عادة تأصلت فى نفوس الناس يمكن القضاء عليها كما قضى على الرق ونحوه بوسائل التربية التى لاشك فى أن العالم يتقدم فى أمرها بنسبة تنبيه ضميره على أثر تفكير المفكرين فيما يصلح حال الإنسان .

إذا كان لابد من ثورة على القديم فى هذه الناحية أيضا. وقد كانت هذه الثورة، وأول خاطر فى موضوع السلام الدائم خطر لسوللى وزير هنرى الرابع . ولكن سلامه الدائم لو أنه تحقق لما شمل إلا أوروبا فقط . وكذلك كان مشروع الأب سان بير فى أوائل القرن الثامن عشر. ولم تكن تلك إلا بوادر لم تفد شيئا، حتى كان آخر القرن الثامن عشر اذ انبعث صوت الاخاء الانسانى من جامعة كونجسبرج حين اقترح أستاذ الفلسفة فيها ايمانويل كنت انشاء حكومة أمم تمنع اعتداء بعضها على بعض وجه نداء للأمم والملوك قال فيه " ينبغى أن تنظم الأمم سلوكها فى كل دولة على قواعد الأخلاق والقانون كما يجب على الدول أن ترعى هذه القواعد فى علاقاتها المتبادلة مهما يكن من تمويه الاعتراضات التى تستنتجها السياسة من التجربة . وحينئذ لا تستطيع السياسة المحقة أن تخطو خطوة من غير أن تتبع فيها أوامر علم الأخلاق . فان السياسة متى اتحدت بعلم الأخلاق لم تعد بعد ذلك فنا صعبا ولا معقدا . ان الأدب يفك العقدة التى لا تستطيع السياسة حلها. يجب اعتبار حقوق الانسان مقدسة ولو ضحى فى ذلك الملوك بأكبر الضحايا . لا يمكن فى هذا الصدد التنازع بين الحق و بين المنفعة . وان السياسة يجب أن تركع امام الأدب .

لكن هل استمع لهذا النداء الكريم الملوك والحكومات ؟ نعم أظن أن حكومات الأمم الكبرى التى اجتمعت فى مؤتمر فينا بعد هذا النداء بتسعة عشر عاما قد استمعت لهذا النداء لكن لا لتعمل به حقيقة بل لتخدع به الرأى العام للشعوب الوادعة الطيبة التى قلما تحتمل نصيبا من جرام حكوماتها . وها كم مذكرة الوزير جنزرميل مترنيخ رئيس المؤتمر المؤرخة فى ١٢ نوفمبر سنة ١٨١٥

ان أولئك الذين اجتمعوا فى المؤتمر وكانوا يعلمون حق العلم طبيعته واغراضه لا يكادون يخدعون على تطوره أيا كان رأيهم فى نتائجه . إن الكلمات الفخمة مثل إعادة النظام الاجتماعى و "تجديد المذهب السياسى لأوروبا" و "والسلام الدائم المؤسس على توزيع عادل للسلطان" الخ الخ انما نطق بها لتطمئن الناس ولتفيض على هذا الاجتماع الحافل كرامة وعظمة . لكن الغرض الحقيقى للمؤتمر قد كان توزيع أسلاب المقهورين بين القاهرين .

هذا نموذج من أدب السياسة الدولية يتخذه الساسة لمجدهم ومجد ملوكهم وليلقوا به دروسا فى الشره والظلم على الناس أجمعين ، أفكان الذين اجتمعوا حول مائدة الصلح فى فرساى أصلح منه وأصدق قولا من زملائهم فى فينا من قبلهم بقرن كامل لقد كان كتاب التاريخ السياسى يظنون أن مؤتمر فينا قد أخفق فى مهمته مع أنه وقى العالم شر الحروب ٣٩ سنة فهل كان مؤتمر فرساى أسعد حظا وأجدى على الانسانية نفعا مع أن سلامه لم يزد عمره على عشرين عاما حتى أمكن لأحد الساسة فى الخريف الماضى أن يجمع بين الحربين و يسميهما حرب الثلاثين من سنة ١٤ إلى سنة ٤٤ و إذا لم يتغير الأدب السياسى عما كان فى القرن الماضى . قال الكاتب المعروف الدس هكسلى عشية هذه الحرب الحاضرة " إن أدب

السياسة الدولية هو أدب القرصان أدب الخداع ، أدب الشيخ الفيوكنت الفاسق " بل لم يتغير هذا الأدب منذ عشرين قرنا حين قال الفيلسوف "هذا هو قانون الانسانية كل ماهو محرم عليك اتيانه وأنت فرد مطلوب منك اتيانه وأنت مدافع عن الدولة" .

ترون من ذلك أن للأفراد أدبا جاءت به قوانين الاجتماع داخل كل بلد . فأين أدب السياسة والسياسيين و إلى أى شيء مرده ؟ أإلى محكمة الضمير وقد جرى العرف على أن السياسة لا ضمير لها أم إلى محكمة القانون العام وليس للسياسة الدولية محكمة إلا الحرب ؟

قال برتلمى مانتهيز لمناسبة نداء " كنت " :

" لقد أعلن " كنت " هذه المبادئ القومية منذ ستين عاما ولكننا على رغم ما قطعت الأفكار العامة من مراحل التقدم فى هذه المدة ما أبعدنا إلى الآن عن الغرض الذى ترمى اليه حكمة الفيلسوف والظاهر أن الملوك والأمم لم تتلق بعد دروسا قاسية . .

نظن الآن أن العالم قد تلقى هذه الدروس القاسية منذ الحرب الماضية فشرع فعلا فى إنشاء جمعية الأمم لكنها كما قد رأيتم لم تنجح لأنه عند تنفيذها كان الساسة قد نسوا ويلات الحرب ورجعوا إلى أخلاق السياسة الدولية فلم تنجح تجربتهم وجاءت الحرب الحاضرة بويلاتها التى لا تطاق . تلقاء هذه التجربة القاسية صدر ميثاق الأطلنطيق فى أغسطس سنة ١٩٤١ وبه حق لأنصار السلام أن يشعروا بأن السياسة الدولية صادقة هذه المرة ولا تنوى أن تستمر على تلك الخطة التى ذكرناها . وكفيلنا بذلك الضرورة العالمية وكفى بالضرورة كفيلا.

ينبغى أن يرحب العالم بميثاق الأطلنطى كما يرحب بالوسيلة الوحيدة لتنفيذه وهى انتصار الديمقراطيات على الدكتاتوريات . ونحن من جهتنا نرجو ذلك الظفر ونرحب به أكثر من غيرنا لا لأننا أصدقاء الانجليز وحلفاؤهم فحسب ولا لأننا نرجو خيرا كثيرا من تدخل أمريكا فى السياسة العالمية لنصرة الشعوب الصغيرة فحسب بل لأن هاتين الديمقراطيتين العظيمتين هما الكفيلتان ببقاء أجل نعمة نعم بها العالم فى هذه المدنية الحديثة وهى الحرية الشخصية .

ينبغى أن يرحب العالم بميثاق الأطلنطى باعتباره خطوة الى الأمام فى طريق السلام الاجتماعى والتعاون العالمى. أو بنص عبارة الميثاق نفسه "ايصال العالم الى مستقبل أفضل" هذا الغرض ان لم يف بكل ما يطلبه أنصار السلام فلا ريب فى أنه خطوة حاسمة فى سبيله وذريعة عملية لتقليل الحروب و إطالة مدة السلام التى تفصل بينها .

والظاهر أن الأداة التى تنفذ ميثاق الاطلنطى هى التى ذكرها المستر إيدن بالإجمال فى خطابه : " إن النظام الدولى يجب أن يكون ممثلا تمثيلا تاما ، لا كما كان عليه الحال فى عصبة الأمم السابقة وأن يكون هناك تصميم وعزم لاتخاذ قرارات إيجابية وأن توجد قوة لتنفيذ تلك القرارات .

وهنا يتساءل أنصار السلام هل إنشاء عصبة أمم جديدة خير من عصبة الأمم القديمة يمكن أن يوصل إلى الغاية النبيلة التى أشار إليها المستر إيدن بقوله "إن غايتنا هى إنشاء نظام عالمى يحقق التقدم السلمى لجميع الشعوب" .

العقل والتجربة متفقان على أن نظام عصبة الأمم التى لها قوة مسلحة لتنفيذ قراراتها ليس خير أداة للسلام الدائم و بالتبع للتعاون العالمى لأن هـذه الأداة متى كمل نظامها كانت كما يقول المستر الدس هكسلى كأنها عصبة مؤلفة للحرب لا للسلام .

والواقع أن العنف يولد العنف، ومع ذلك ليس أمام العمليين من أنصار السلام وسيلة سواها فى الحال الراهنة .

غير أن هـذه الوسيلة لا توصل إلى الغاية إلا اذا اقترن بها إبطال الاستعمار بجميع أسمائه وألوانه، على هذا الوضع يمكن القضاء على التنافس الحاد بين الأمم الكبرى، وعلى هذا الوضع فقط يمكن أن تستل من نفوس الأمم الصغيرة تلك الأحقاد التى ولدها استعلاء قوم على قوم، وذلك هو أفسد ما يكون للأخلاق التى ينبغى أن تتخلق بها الأمم لتحقيق تعاون عالمى ، وفى هـذه الحالة الشعوب التى لا تستطيع أن تقوم بنفسها لا تتبع دولة بعينها باسم الانتداب أو باسم الحماية ، بل دولة ادارة النظام العالمى الذى أشار إليه وزير الخارجية البريطانية ، تأخذ هذه الإدارة بيدها حتى تستكمل مشخصات الأمة التى تستطيع أن تكون عضوا مستقلا نافعا فى التعاون العالمى .

مادام غرض التعاون العالمى هو القضاء على نظرية حق الأقوى مع فسادها فى نظر المنطق القانونى وما دام الاستعمار هو أظهر آثار حق الأقوى فلا بد للتعاون العالمى من القضاء عليه بجميع أسمائه .

كما أن الفلسفات القديمة لم تتعرض لفكرة السلام الدائم كما ذكرت آنفا كذلك هى لم تتعرض لاستنكار الاستعمار . وأول من تعرض لها من الفلاسفة على وجه بين هو الفيلسوف بنتام فانه هو وأنصار مذهبه يبغضون الاستعمار و يرونه غير نافع للأمم المستعمرة فوق انه مفسد لأخلاق الأمم المستعمرة . قال برتران رسل "اذ كانت الثورة الفرنسية فى الصميم من أمرها" كتب بنتام رسالة الى تاليران عنوانها "حرروا مستعمراتكم" ولم يكن رأيه فى المستعمرات الفرنسية فحسب بل رأيه كذلك فى المستعمرات البريطانية ... ولكنه حمل صديقه اللورد لنسدون على اعتناق مذهبه فقال فى مجلس اللوردات فى سنة ١٧٩٧ "لا يمكن أن يسدى الى اسبانيا خير أفضل من تخليصها من لعنة مستعمراتها" .

وأخيرا فى عهد جمعيـة الامم السابقة عرض على الامم المستعمرة فى فرص عدة أن تنزل عن مستعمراتها لتضعها تحت السيادة الدولية فرفضت بلا استثناء غير أنه مادام على ظهرها أمم غالبة وأمم مغلوبة فلا رجاء فى التعاون باخلاص وكانى بالامم المغلوبة على أمرها تقول

للقاهرين دعاة السلام — انظرونا نتحلل من ذل التبعية ثم شأنكم والسلام الدائم قرروا فيه ما تشاءون .

بقي أن نشير الى أن بعض الكتاب السياسيين يرون أن الاستعمار والوطنية أمران متلازمان وأن من العسير أن يحب قوم وطنهم دون أن يقترن هذا الحب بالاستعلاء على الامم الضعيفة أو دون أن يبغضوا غيرهم . هذا قد يكون حقا فى أمر الوطنية الحادة الجامحة التى هى من سلالة عصبية القبيلة . أما الوطنية المدنية أو وطنية المستقبل التى يسيطر عليها التدبر العقلى فانها لا تتنافى مع حب الأنسانية جمعاء . والواقع أننا نرى الرجل الفاضل مع حبه لنفسه يسعى الى سعادة غيره فلا مانع اذا يمنع قوما يحبون وطنهم من أن يسعوا فى اسعاد الأوطان الأخرى .

نسوق كل هذه المقدمات للوصول إلى نتيجتين . الأولى أن التعاون العالمى ممكن متى اقترن به إلغاء الاستعمار على الوجه الذى ذكرناه . والثانية : أن أدب السياسة الدولية الذى جرى عليه العرف إلى الآن يعيد عليه أن يحقق التعاون العالمى بل لابد لهذا التعاون من أدب دولى جديد ونظرا إلى أن أسباب الحروب مهما اختلفت مردها إلى الحالة السيكولوجية للأمم وعلى الخصوص الحالة الأخلاقية لقادة الأمم ، نظرا إلى ذلك قد بحث أنصار السلام فى الوسائل التى تؤدى إلى منع الاعتداء من جانب أمة على أخرى و إن أوفى بحث أعرفه فى هذا الصدد تلك المحاولة الجريئة الموفقة التى حاولها الكاتب المعروف الدس اكسلى فى كتابه " الغاية والوسائل " لم يقنع هكسلى بطريقة " كنت " التى لا يزال الساسة يسيرون عليها سواء أكان ذلك فى جمعية الأمم السابقة أم فى النظام العالمى المستقبل بل هو يرمى إلى أعمق من ذلك أثرا وأبقى على الزمان بقاء ، وهو أن يسعى الأفراد والجماعات والحكومات إلى تربية الجيل على صورة تتدرج نتائجها للوصول إلى الإنسان المثالى ، جعل هكسلى المثل الأعلى فى ذلك الإنسان الذى سماه "الإنسان اللامرتبط" غير المرتبط باحساساته ورغباته الجسمية ، غير المرتبط بشهوته فى السلطة والحيازات المختلفة ، غير مرتبط بموضوعات هذه الرغبات المختلفة غير مرتبط بغضبه بحياته الخاصة ، غير مرتبط بالثروة ولا بالمجد ولا بالوضع الاجتماعى ، غير مرتبط حتى بالعلم والفن و بالتأمل المجرد و بحب الإنسانية . بذلك يصل المرء إلى حيازة جميع الفضائل ، و إن عالما مؤلفا كله أو جله أو على الأقل قادته من أفراد لهم هذه الفضائل لجدير بأن يسمى العالم الكامل ، غير أن هكسلى لم يخدع نفسه على إمكان الوصول إلى تلك الوسائل التى تربط نظريات السياسة الداخلية والسياسة الدولية والحرب والاقتصاد والتربية والدين والأدب ، كل أولئك بنظرية الطبيعة الآخرة للحقيقة ، بل قال فى آخر كتابه "لا شك فى أن هذه المهمة قد نفذت على وجه ناقص ، على أنى لا أعتذر عن محاولتى إياها فان رسم مذهب رسما ولو جزئيا خير من العدم الكلى " .

ونحن من جانبنا نترك إلى الزمان الطويل تحقيق الرغبات الشريفة لهذا المؤلف .
ونقبل على مذهب أقرب تناولا ، ونقنع بالهدف الحاضر وهو التعاون العالمى الذى ارتضته السياسة الدولية للأمم المتحدة فماذا ينبغى أن تكون الأخلاق لتحقيق هذا التعاون .

إذا كان هكذا لى يعتد هكذا بسمو النفس الانسانية فى طبيعتها إلى حد أنه يرى من الممكن أن تتحقق نظرياته فليس فى ذلك إلا قريبا جدا من رأى الفيلسوف " كنت " فى سمو الطبيعة الانسانية حين يقول " ليس فى الاستعدادات الطبيعية للانسان شىء من مبدأ للشر وأن السبب الوحيد للشر هو ألا يرد الطبع إلى قواعد ، ألا إن الانسان ليس فيه من أصل إلا للخير ، ليس لهذا المعنى فقط أرى أن أختار منهاج " كنت " مرجعا لصورة هذا البحث الذى أبحثه ، بل لأنه مع ذلك صاحب فكرة الحكومة الدولية العامة ، وبهذه المثابة قد يكون منهاجه الأخلاقى أقرب المناهج نسبا للتعاون العالمى ، وقد يكون فوق ذلك هو المناسب لاعتقادات الناس فى هذا الزمان .

لتحقيق التعاون العالمى ينبغى أن تقوم كل أمة بواجباتها نحو ذاتها وواجباتها نحو الأمم الأخرى.

فأما فضائلها الذاتية أو واجباتها نحو ذاتها ، فالقيام بها أظهر ما يكون فى التربية وفى صور الحكم .

أما التربية فانها فى كل العصور وسيلة لتحقيق غاية معينة ، فترون الدكتاتوريات تنشئ أجيالها تنشئة اسبرتية محضة ، لأن غايتها استكمال ما نستطيع من قوة لتبسط سلطانها على العالم كله أو بعضه ، فتجرد أبناءها من حرية التفكير الشخصى وحرية النقد وحرية الاجتماع لتبادل الآراء وتنمى فى أنفسهم مبادىء القومية الحادة والاستهانة بحقوق الغير والطاعة العمياء ، وبالجملة تكون غاية التربية غاية حربية صرفة ، أو بعبارة أدق غاية الاعتداء على الأغيار وما فى أيديهم ، وليست الديمقراطيات مع الأسف بأحسن حالا من ذلك إلا قليلا ، فان التربية فيها مع مابها من الحريات الفردية موجهة إلى الحرب أيضا ، وفى مثلها العليا نماذج من أبطال الحروب الأولين والآخرين ، فمناط المثل الأعلى فى التربية الحاضرة بطل قتل فى ساحة الحرب من إخوانه فى الانسانية أكبر عدد ممكن ، لاشك فى أن هذه التربية لا يمكن أن تكون غايتها التعاون العام أو السلام الدائم ، بل لابد للعالم وقد اعتزم التعاون العام أن يغير غاية التربية فيستن نوعا من التربية يؤدى إلى حب السلام لا إلى حب الحرب ، يؤدى إلى تحقيق الإخاء الانسانى ، يؤدى إلى ترك المبالغة فى الاعتزاز بالأجناس وترتيبها ترتيبا تحكميا عسى أن يكون الجنس الأخير منها خيرا من الجنس الأول المزعوم ، وبالجملة ينبغى أن تترك إلى جانب عصبية الانسان الأولى للقبيلة ولمعبودها المحلى الذى صنعه الانسان بيده إلى ما يقتضيه الإخاء الانسانى والتعاون العالمى من احترام لجميع الأجناس وسعى فى إسعاد من قضت عليه المصادفات الشقية بأن يكون فى سلم المدنية متأخرا عن سواه .

على هذا ، يجب على الأمة فى تربية أبنائها ، أن تكون غايتها الانسان المثقف ووسيلتها إلى ذلك :

١ — تثقيف ملكات الفرد الطبيعية . ملكات الجسم والعقل والنفس بأن يقوم بمقتضيات حفظ الذات وحفظ النوع بالاعتدال التام ثم بواجب الصدق الذى يسبب له الاقتناع بكرامته وواجب السخاء الشخصى بأن لا يقتر ولا يسرف بل ينفق بالمعروف وواجب كرامته من حيث هو إنسان فيرفض أن يكون تبعا لغيره فى غير الحدود المفروض عليه من جهة كونه عضوا فى جمعية مدنية لها قوانين مرعية الأداء . وواجب محاسبة نفسه على كل ما يخطر له من فكر أو يلفظ من قول أو يأتى من عمل وضابط ذلك كلمة أفلاطون المعروفة " تعرف نفسك بنفسك " أى تعرفها بالدرس الدائم لحالها وسبر غورها فى أعمق طياتها . ثم ينبغى أن يؤخذ الناشئ بتثقيف ملكات عقله بأن يتعلم ماهو ميسر له من العلوم والفنون . قال كنت " من ليس مثقفا فهو بهيمة ومن ليس مؤدبا فهو متوحش " .

كذلك ينبغى أن تؤخذ الأفراد فى التربيـة بتعلم القيام بواجباتهم نحو الغير مثـل حب الانسانية و يعنى به العدل ورعاية الغير وعرفان الجميل والسخاء والمواساة فى الضراء واحترام الأغيار فى أشخاصهم وشرفهم وأموالهم واحترام قوانين البلاد سرا وعلانية .

وينبغى فى تثقيف هذه الثلاثة الأنواع من الملكات الطبيعية أن يكون ذلك على يد أساتذة أحرار فى مدارس حرة ليست تابعة مباشرة لسياسة الحكم كلما أمكن ذلك .

وأما واجبات الأمة من حيث صورة الحكم لتكميل ذاتها فينبغى أن تكون الأمة دائما مظهر السلطات فى وطنها وأن يشتمل أفرادها فى حكمها على الطرق الديمقراطيـة وأن يكون الحكم فيها لمنفعة المحكومين لا لمنفعة الحكام . وأن تكون ولاية الحكم ضرائب يؤديها الأكفاء من أبنائها لا مزايا يختص بها المقربون من السلطات ويتفرع على ذلك أن طالب التولية لا يولى .

هذا ما ينبغى من فضائل الأمة أو واجباتها نحو ذاتها .

وأما واجبات الأمم بعضها نحو بعض فأول ما ينبغى هو إبطال هـذا المذهب العتيق للسياسة الدولية . مذهب الارتياب والدسائس والتجسس وأن يستبدل به نقيضه بأن تحل محل هـذا المذهب الواجبات الأدبية التى يفرضها قانون الأخلاق على الفرد نحو غيره وهى تتلخص فى احترام حقوق الغير والسعى فى إسعاده .

على هذا النحو وعلى هـذا النحو وحده يتحقق التعاون العالمى وتشمل نعمة السلام كل بنى الانسان .

أحمد لطفى السيد

العلاقات الدينية بين الأمم لتحقيق تعاون عالمى

بقلم الدكتور منصور فهمى بك

المدير العام لدار الكتب المصرية

لست أعلم من نفسى أنى ممن تفقهوا فى أصول الديانات وتواريخها ، ولست ممن نالوا فى ذلك إجازات وشهادات . على أنى وإن كنت من غير المتخصصين فى دراسة الديانات ونظرياتها فهأنذا أشهد آثارها الواضحة فى أوضاع الجماعات وأعمال الناس . وكأن الديانات ليست نظريات فلسفية وعقائد أو أعمالا يختص بها فريق دون آخرين فحسب ، بل هى وجود اجتماعى ظاهر يتهيأ من أقدار مشتركة من العلم والعمل والعقائد يشيع بين الناس جميعا وعلى هذا فمباح لأمثالنا ممن يؤمنون بأثر الدين ويعتنقونه أن يدلوا فيه بآرائهم .

وقبل الدخول فى صميم الموضوع أشير إلى ما انتهج من الخطط فى معالجته . فمنها أننى تجنبت الاستقصاء على نحو ما تنزع إليه الفلسفة فى طلب الأصول الأولى أو الغايات البعيدة وتوخيت أن أعتمد على المشهود الواقع من الآثار القريبة للديانات ، فلم ألجأ مثلا إلى النظر فى مختلف المظاهر الدينية فى الشعوب البائدة أو البدائية ، بل تلمست الدين ومظاهره فى نفوس المعاصرين المتبادلى النشاط والمسعى .

كما أنى لم أتعمق فى البحث على نحو مايريده الاجتماعيون والفلاسفة ، فيتساءلون أكانت النزعات الدينية أسبق من النزعات الخلقية ، أم أن هذه الأخيرة كانت أسبق من الأولى . وحسبى فى هذا الشأن أن أعتمد على أن هناك صلة تقوم بين الأخلاق الجارية والديانات المعروفة ، وأنها جميعا تتعاون فى طائفة من التوجيهات .

وعلى الجملة فحسبنا فيما نحن بصدده من البحث أن ننظر إلى الدين من نواحيه الاجتماعية الجارية العملية ، لا من نواحيه الفلسفية أو اللاهوتية .

وكذلك نفترض بعد أن تبينت لنا طريقة البحث التى نسير عليها أن كلا منا يسلم ببعض أصول تعين على ما يقصد إليه من تحقيق تعاون عالمى على أساس العلاقات الدينية . فنقرر :

١ — أن الإنسان كما هو مدنى بطبعه ، هو كذلك دينى بطبعه ، بمعنى أنه ينزع إلى الإيمان بقوة لاحد لها تحيط بكل مايقع عليه تصوره من وجود محدود ، وأن صلة الإنسان بما لا حد له تولد فى خافية وجدانه شعورا بالعبودية يتيقظ عند المناسبات . وفى يقظته يجتمع

الناس على أسلوب من الخضوع والرجاء يزيدهم يقينا بضعفهم وحاجتهم إلى عون القوة العظمى التى لا تدركها العقول والأوهام . ولعل فى هذا الشعور المشترك بين الناس جميعا أول ينبوع نفسى لمجارى الديانات واختلاف ألوانها . كما أنه من المسلم به أيضا أنه ما وجدت جماعة من البشر ترابطت فى نظام إلا آمنت إيمانا بأسلوب فى حياتها جعلت منه دينا وعقيدة .

٢ — ثم نقرر مبدأ ثانيا وهو أن سير التيارات الدينية الكبرى كان فى حركات التنقل من الدوائر الضيقة المحدودة إلى الدوائر الواسعة الشاملة ، بمعنى أن طائفة من العقائد كانت فى بداءتها محصورة فى قبائل وأمم معينة ، ومع تتابع الأجيال وتطور الفكرة الدينية اتجهت هذه العقائد للجمع بين مختلف الشعوب ، والسيطرة فى البقاع المتباينة ، حتى يبدو أن أكثرية من سكان الأرض يدينون لإله واحد هو رب العالمين ، وأن النزوع الدينى يتحول إلى نزوع عالمى واسع .

٣ — أما المبدأ الثالث فهو أن العقل البشرى سيظل بحكم طبيعته وحدوده قاصرا عن إدراك بعض المسائل وفهمها ، كالأصول الأولى أو الغايات النهائية لظواهر هذا الوجود وفق سنة لا تتبدل ولا تتغير . وقد يدعو ما هو مشاهد من انسياق الظواهر فى سننها إلى التساؤل عن كنه هذا الانسياق وخصائصه ، ولماذا كانت هذه الخصائص لبعض ظواهر دون غيرها ، ولماذا كان سعى الانسان ونشاطه يتصلان دائما بأهداف ومثل يقدر المرء أن الخير فى بلوغها . وليس فى نظام العلم ومألوفه أن يحكم على خيرية هذه الأهداف أو شريتها حكما مطلقا ، بل إن تقدير ذلك راجع لمنطق العواطف والوجدانات العميقة ، ووحى الحياة العملية السائرة التى يطاع وحيها فى كل شىء ، حتى فى التضحية بالنفس لمصلحة عليا غير مصلحة الأفراد ، فان المرء يحس بالحاجة لأن يستمد لشعوره ولحياته العملية من توجيهات أخرى غير توجيهات الواقع العلمى ووحيه ، وتلك هى توجيهات العقائد والأديان والإيمان .

٤ — ثم نقرر بعد ذلك مبدأ رابعا ، وهو أن جمهرة واسعة من الناس فى هذا العصر الذى نطلق عليه عصر التقدم ، وهو عصر غنى بأنواع من الخيرات والنعم المادية والمعنوية أقول : إن هذه الجمهرة ترى جديرا بمن يعيش فى هذا العصر أن يسعى للانتفاع بمعانى هذا الخير والجمال والاستمتاع بها جميعا ، وأن ما هو منبث فى الوجود منها يغرى بشحذ الهمم والعزائم لحسن استغلالها ولمقاتلة عناصر الشر من مظاهر البؤس والألم والقبح والفقر التى طالما تعطل مباهج الحياة .

وزيادة على ما تقدم نقرر أن الحياة الاجتماعية الراهنة ما زالت تمعن فى أساليب التعقد والتشعب ، فتبعث على ازدياد الرغبات والحاجات ، وأصبحت وفرة المكتشفات الآلية والكيميائية والفنية تمد فى ذلك مدا ، مما أدى من جهة الى انتقاص أوضاع البساطة

وجمالها وخيرها ، ومن جهة أخرى الى الاعتزاز بهذه المكتشفات والأدوات التى أغرت بعضها بالزهو والعتو وهيأت لبعض آخر الاستسلام والحقد الكمين ، وكل ذلك يشيع القلق والاضطراب فى نفس الجماعات و بين مختلف الشعوب ، مما ينتهى بقلق نفسى واضطراب لا يتفق مع أساليب الطمأنينة العامة المرجوة والتعاون للسلم .

و بعد أن قدمنا هذه المبادئ التى أقدر أنها موضع اتفاق بين الكثيرين يصح أن نلم إلمامة سريعة ببعض الأصول والأقدار المشتركة بين الأديان مما أحسبها دعائم ترجى لبناء صرح من التعاون العالمى فى سبيل الخير والسلام .

فمبدأ الترابط فى المودة والتعاطف المشترك بين الناس على اختلاف أجناسهم ومشاربهم الدينية قد قرره الاسلام فى جلاء، وفرضه على متبعيه من غير لبس ولا إبهام ، فجاء فى كتاب الله فى سورة الممتحنة هذه الآية الكريمة : (لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ . إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَـٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ وَظَـٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ) .

وفى هذه الآية حض واضح على مسالمة المسالم، وربط أواصر المودة معه فى البر والخير . وفيها مقابلة العدوان بأوجه الدفاع إخمادا لنار العداوة حين تشتعل ، وردعا للمعتدى عن غواية الاعتداء . و إذا كانت المسالمة يقويها الدين الإسلامى مهما يكن دين المسالم ومذهبه ، فأنعم إذن وأكرم بهذا المبدأ ليكون ركازا لتعاون عالمى بين المسلمين وغيرهم . ولم ينفرد الإسلام عن الديانات الكبرى بهذا المبدأ السامى ؛ فإن فى النصرانية واليهودية من المبادئ ما يساير دين الإسلام فى ذلك ويجاريه . فإذا كانت هذه الديانات تتآزر بعضها مع بعض فى مبدأ أساسى كالذى قدمت ، فان الفلسفة والأخلاق تتعاون كذلك مع هذه الديانات فى هذا المبدأ الإنسانى الجليل .

ويلوح لى أن كل ما يطلب الآن هو تيسير جريان مثل هـذا المبدأ المقبول فى جميع الديانات الراقية وتعميمه بين الشعوب ، فيتعاضد الدينيون على اختلاف مللهم فى الوسائل الصالحة لنصرته ولتحقيق أثره . وليس بنا الآن من حاجة إلى الإسهاب فى عرض ما يتخذ من الوسائل . وسنشير إليها فيما بعد فى فرصة آتية .

وفى الديانات كلها كذلك أصل مشترك آخر لا يقل جلالا عما تقدم ، يتمثل فى فكرة السلام . فاننا نجد أن الإسلام أشار الى معانيها فى نيف وستين موضعا من القرآن ، عدا ما ورد فى الآثار الصحيحة ، فقد جعلت تحية المسلمين فى صلواتهم وتواددهم مقرونة بذكر

السلام ، واتخذ رب المسلمين لفظ السلام من أسمائه الحسنى ، وفى ذلك أوضح دلالة على ما لهذا المعنى من مكانه فى دين الرسول العربى . وكما أن هذا مقرر عند المسلمين هو مقرر كذلك فى الديانات الأخرى ، لا سيما المسيحية ، فى وضوح وجلاء .

وكذلك عنيت الديانات الكبرى برعاية الوحدة الأولى التى تتكون منها الجماعات والشعوب ، فكلها تقدر ما لنظام الأسرة من شأن وخطر ، وما يتصل به من حرمة وقداسة. فقديما قررت الديانة اليهودية — وهى أولى الديانات السماوية المعروفة — مكانة لأسرة . فمن أظهر الوصايا فى هذا الدين تبجيل الوالدين ، والاحسان إليهما ، وصون الأعراض ، والمحافظة على أساليب الطهر فى الحياة الاجتماعية ، وتقدير البنوة والإكبار منها لتقوية الجماعات ، وما إلى ذلك من أمور تتصل بمكارم الأخلاق الاجتماعية . وكل ما تقرره اليهودية فى ذلك من الاتجاهات تؤيده النصرانية ويؤيده الإسلام .

المبادىء المادية :

ولو تقصينا ما ترمى إليه المبادئ الشائعة فى الديانات لوجدناها تلتقى عند مصلحة المجموع وتقديمها على مصلحة الفرد . فكأنها تتآزر فى إعلاء كلمة الإيثار على كلمة الأثرة ، ومن ثم كأنها توجه الأفراد الى نواحى الخير الدائم الآجل على ما يخلب الأبصار من نواحى الخير البراق العاجل . وكأن السياسة العامة للأديان جميعا تتمثل فى صورة العقيدة بالخير ، وتحويل هذه العقيدة الى إيمان يدفع أهله الى سعى منظم فى هذه الحياة الدنيا وفق دستور روحى مقدس ، واذا صح فى الذهن أن تتمثل الديانات فى هذه الصورة التى قدمت فإنا نقرر أن لها عدوا لدودا فى النزعات والمذاهب المادية على اختلاف أنواعها وصنوفها منذ أقدم العصور الى يومنا هذا.

ولعلى لا استطيع فى هذا المقام المحدود أن أعرض المذاهب المادية فى اختلاف صورها ، وحسبى أن أشير اليها إشارة سريعة . فليست النزعات المادية التى نقصد الى ذكرها هى ما يقصد اليه الفلاسفة وعلماء الطبيعة من تعليل الظواهر الكونية والحالات النفسية بأسباب تتدرج فى هذ الكون المشهود ، وينشأ من تواصلها وتقاطعها بعض ما يتمثل لمدار كنا وحواسنا ، كأن نعلل ظاهرة كونية بتآلف فى الكهارب والطاقات ، أو أن نعلل حالة من حالات النفس بنقص أو زيادة فى إفرازات كيميائية ومادية فى غدد الجسم وتفاعل عناصره . بل المقصود بالمادية هنا نزوع الأفراد والجماعات نزوعا يعتمد على غرائز الأنانية والأثرة ، وينشط بهم إلى إشباع الشهوات الوضيعة بوسائل الكفاح والغلبة ، على اعتبار أن ليس وراء هذا الوجود المحسوس المشتهى وجود آخر إلا الأوهام ، وأنه فى سبيل الواقع المشاهد المستطاب يناضل الناس ما استطاعوا النضال ، وينازلون ما استطاعوا النزال ، ليظفر كل لنفسه بالمطلوب ، ويخرج من المعمعة المهلكة بما يحسبه المحبوب . وفى هذه الحالة يبعد عن تصور الشخص المادى وخياله كل ما تصبو اليه نفوس المثاليين من معنويات .

ولقد وجدت هذه الصورة الإنسانية وهذا النزوع النفسى المادى فى مختلف العصور . فكانت فى حضارة اليونانيين والرومانيين وفلسفاتهم حين كان ثم دعاة لاقتناص اللذات المادية المواتية . وكانت فى عصور الحضارة الإسلامية حين استهتر المستهترون من الشعراء بالآداب والفضائل . وكانت كذلك فى حضارة الغربيين قديما وحديثا حين نادى منهم من نادى بمبادئ الكفاح والغلبة ، وتهوين قيم الفضائل . وعلى الجملة كانت بين من نطاق عليهم اسم المستهترين والإباحيين . وفى هذا الضرب من ضروب المادية خصومة صريحة للديانات جميعا إذ لا تطيق المادية قيود الدين ولا تستسيغ تكاليفه فى الأصول والفروع . وما قد يقال فى ذلك عن عداوة المادية للدين يصح أن يقال فى عداوتها للأخلاق ، لأنه إذا كان رأس الحكمة على ما يقوله الأخلاقيون الدينيون مخافة الله فبينهات ما بين المادية وبين هذا الخوف من الله . وإذا كانت الأخلاق عالقة بحياة الجماعات فبينهات ما بينها وبين من يؤثرون انفسهم وأنانيتهم على ما يطلب للجماعات والشعوب .

وفى هذه الحالة التى تظاهرفيها أشباح المادية والدينية يتهيأ ميدان متسع لحرب أزلية وتدافع فيه سجال بينهما (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ...)

ويبدو لنا أنه لا محيص عند طغيان المادية لأهل الأديان — وهم بطبيعتهم من أهل المثل العليا — أن يتكاتفوا لمقاومة هذه التيارات الإباحية التى أصبحت شديدة الجريان والانتشار فى هذا العصر ، وزاد بذلك بطشها الفتاك بآداب الإنسانية ومعنوياتها .

أسباب انتشار المادية :

وقد ترد قوة التيارات المادية فى هذا العصر إلى عدة عوامل منها : ضعف السيطرة التى كانت للديانات على نفوس الناس ، وذلك لضعف شخصيات المتزعمين الدينيين ، وفساد أساليبهم فى التوجيهات الروحية وعجز وسائلهم فى أداء رسالتهم . ومنها : تقدم العلم ووصوله بطرائقه الفعاله إلى الأهداف التى ينشدها حين كشف الغطاء عن كثير من أسرار الوجود ، واستخدم هذا الكشف لمصالح الإنسان ورفاهيته المحسوسة . ومنها : تدانى بقاع الأرض بمختلف وسائل النقل والاستعمار الحربى والتجارى واستغلال الأموال بحيث تسللت الأساليب المادية من بعض الشعوب لبعض آخر ممن كان يدين بغير المادية و يتربى فى عيشه من الفطرة السليمة الخيرة . ومنها : ضعف تأثير المعنويات فى حياة مستغرقة بالحركة ومحاطة بشتى وسائل الكفاح والتزاحم مما يشغل الناس عن الاطمئنان إلى التفكير والتأمل فى المعانى السامية .

وفى الحق أن ما يبدو لأول وهلة أنه تقدم عظيم للإنسانية حين توافرت لها أساليب التعمير والنقل الآلى والفنون المثيرة للشهوات ، ليس يدل على التقدم إلا من ناحية واحدة :

تلك ناحيـة الوجود المـادى فحسب . أما من ناحيـة إنسانية الإنسان ونزوعه إلى الخير والإيثار والسلام، وعلى الجملة من ناحية اعتداده بالتسلح المعنوى فقد يبدو أن الإنسانية لم تتقدّم فيها تقدما يتناسب مع تقدمها المـادى ، بل ربما يلوح أن الناس تأخروا إذا قيست متازعهم فى هذا العصر بالعصور التى نشأت فيها المبادئ الكبرى وقامت فيها الدعوات الدينية البريئة الطاهرة . و إن مجرد التصوّر لهذه الحالة من تقدير التأخر المعنوى قد أزعج الكثيرين من المفكرين وأهل الوجدان من نيف وربع قرن ، أى فى فترة الزمن الذى يشمل مبـادئ الحرب الكبرى وامتداداتها فى الحرب الحالية، فشعروا بحاجة ماسة إلى وضع أساليب أخرى فى الحياة لتقويم شر ما هم فيه من الضجر والقلق النفسى وما تتعرض له الإنسانية من الشدائد ولم يجدوا لذلك أفضل من إنعاش ما ضعف من العوامل الروحية والدينية فى نفوس الناس، ونشر فضائلها فى الشعوب نشرا صادقا يتحقق فى الأعمال لا فى النظريات والأقوال .

ولم تكن الدعوة إلى عصبة الأمم والرغبة فى توجيه الثقافات توجيها ينسجم مع مبـادئ العدالة والسلم إلا إرهاصا لحياة جديدة خيرة أسلم من هذه الحياة نرجو أن تزدهر . وللدينيين بطبيعة عقائدهم عمل كبير فى نشر المبادئ التى تحقق هذه الحياة المنشودة إذا هم عمـلوا بجدّ وصدق وتعاون صحيح .

أخطاء أهل الأديان :

وإنا لا نبرئ الدينيين من تفريط مكن لخصوم الأديان والمستهترين بمبادئها ألا يقبـلوا عليها فما أضعف فى الزمن الأخير من هيمنة رجال الدين على النفوس أنهم لم ينعشوا الفضائل الدينية فى حياتهم الخاصة حين ينبغى أن تكون هذه الفضائل حية ماثلة فى مسعاهم وأعمالهم . فليس من الحق أن ينادى رجل الدين بالقناعة وهو جاد فى أساليب الطمع . وليس من الحق أن ينادى بالصدق والصراحة وهو يلوذ بالكذب والنفاق . وليس من الحق أن يجهر بالتقوى وهو غير برىء من الإثم ، ولا بالتسامح والسلم وفى نفسه الانتقام والعدوان . وكثيرا أسفاه من يخرط فى زمرة الدعاة الدينيين الروحيين دون أن يحققوا فى أنفسهم مطالب الدين العليا كما ينبغى أن تتحقق ، ومن ثم قلت الثقة بكثير من رجال الدين ، حتى تزعزعت الثقة بالدين نفسه .

ومن أخطاء الدينيين كذلك أنهم جعلوا من التفاصيل الفرعية للديانات مثارات للخلاف والفتن فكانت شيع وكانت مذاهب ونحل مما كوّن الحزازات وضغائن النفوس . فإذا كان هناك من التفاصيل ما يجوز أن يفترق وجهات النظر وفقا لتعدّد الأمزجة واختلاف العقول والأذواق، أفلا يكون فى الأصول الأولى مدعاة للتجمع والتعاون لما فيه الخير الشامل العميم . لقـد يكون من الحكمة الأزليـة أن تختلف العقول فى الجزئيات لتظل أداة التفكير مشحوذة متوثبة لا تكل ولا تصدأ . لكنه ليس من الضرورى أن يكون مثل هـذا

الاختلاف مدعاة للخصومة والقطيعة . ولماذا لا يتردد فى نفوس أهل الديانات جميعا مثل قول الصوفى ابن العربى :

لقد صار قلبى قابلا كل صورة ... فمرعى لغزلان ودير لرهبان
و بيت لأوثان وكعبة طائف ... وألواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنى توجهت ... ركائبه فالحب دينى و إيمانى

وما دمنا فى صدد الإشارة إلى ما نحصيه من اخطاء الدينيين فلا يسعنا إلا دعوتهم عن سبيل الأصول الأولى للديانات ليسيروا المحبة بين الناس ، وليستفيدوا لذلك من هالة القداسة الدينية التى مازالت لهم ولازال لها سلطانها وأثرها فى النفوس . وربما ترتب على اتحاد رجال الدين أن تحل مشيئة الله على الارض لتكون بين الناس المحبة وليحل بينهم السلام ، فتنسجم النظم السياسية المتضاربة ، ويتوجه الأفراد فى أداء واجباتهم لخدمة الشعوب ، وتجتمع الشعوب لخدمة الانسانية جميعا .

واجب الدولة :

وكما أن على الدينيين والمقدرين لقيمة الدين فى الحياة الاجتماعية والإنسانية واجبا فى تيسير نفوذه وتوجيهاته الروحية ، كذلك يلوح لى أن على الدولة واجبا كبيرا فى إعلاء كلمة الدين .

لقد أدى التنازع بين سلطان الدين وسلطان الحياة المدنية والمادية فى بعض الأمم إلى إقصاء الدول والحكومات عن اتخاذ الدين لها شعارا . واعتمد المتشيعون لذلك على أن أبناء الأمة قد يرتبطون بشتى الروابط من آمال وآلام ومصالح مشتركة ذات وجود واقع دون أن يشتركوا فى العقائد التى لها ميادينها فى عالم النفس الباطنة وصميم الوجدان . ولذلك ترجح لديهم ألا يكون للدولة دين ترعاه ، وليرع كل فرد من افراد الأمة ماهو مكنون فى ضميره . وقد يعترض على هذا الرأى بأن الدين — و إن كان منبته الأول فى العقيدة الخافية — فان الإيمان به له أثره الواضح فى الحياة الاجتماعية الظاهرة حين تصطبغ المعاملات والأعمال بما تلونها به العقائد . فالأخلاق الجارية ، وآداب السلوك ، كل ذلك يتأثر تأثرا كبيرا بما يتصل بدواخل النفس ، وقد ينم الظاهر فى مجارى الحياة عن الكثير الخفى فى الوجدان . وفى الإسلام حض على أن يكون نشاط المرء ومسعاه منسجما مع عقيدته ودينه حتى جاء فى الأثر " الدين المعاملة " .

وأغلب الظن أن كل أمة فيها أكثرية من أهلها يدينون بعقيدة واحدة . وليس من ضير على الدولة ، تدين بدين الأكثرية وترعاه ، وأن تجعل من واجبها رعاية دين الأقليات ، لأن دين الأقلية مهما اختلف عن دين المجموع الأكثر فانهما يلتقيان فى الأصول التى تستوجب الرعاية والتقدير .

واذا كانت بعض الأمم المتمدنة قد أخذت بمبدأ اللادينية فى الدولة ؛ فان مصر قد ظلت متمسكة بأن يكون دين دولتها الرسمى الإسلام . وهو يولى عقائد الأقليات حسن الرعاية بحكم تعاليمه السامية . ففى المأثور عن الرسول العربى قوله : " من آذى ذميا فأنا خصمه يوم القيامة " . وزيادة على ذلك فان الاسلام يعترف بالديانات السماوية المنزلة ، ويقدر ما جاء فى التوراة والانجيل من الهدى ، ويحض على اتباع ما فيهما من إرشاد . وحسبنا دليلا أن نذكر تلك الآيات : (قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ) وكذلك قوله تعالى : (قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ) ، وقوله : (وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ) ، وفى كل هذه الآيات وكثير غيرها دليل على أن الاسلام فيه من مبادئ المحبة والتواد والمجاملة لأهل الأديان جميعها ما ينتفى معه الشك فى تقديره لمسالمة الناس والتعاون معهم فى الخير والمعروف .

أسباب الخلافات :

على انى وإن كنت الممت بما يصح أن يكون معمدرا لتلاقى الدينيين وتآخيهم فى المبادئ السامية لا أستطيع أن أغفل ما حدث وما يجوز أن يحدث من أسباب الانقسام والاختلاف بين اهل العقائد المختلفة . وفى زعمى أن منشأ الخلاف لا يمكن أن يكون مرده الأكبر أصول الديانات أو فروعها ، وإنما قد يتصل مرده على الأرجح باستعدادات من وضعوا موضع الزعامة والقيادة للدينيين ، فالكثيرون منهم كما أشرت إلى ذلك لم يتخلقوا بالأخلاق الكريمة التى يستطيعون أن يدفعوا بها أسباب الأحقاد والخصومات . ولعل أول الواجبات على المترعمين فى أمور الدين لخدمة الحركة الدينية نفسها ولخدمة الإنسانية أن يروضوا أنفسهم على الأعمال التى تنسجم مع سمو العقيدة ، فاذا تحقق لهم أن رفعوا مستوى أنفسهم كان من اليسير عليهم أن ينزلوا إلى الميادين الاجتماعية حشدهم الروحى أفرادا وجماعات لتفاضل رسالتهم فى مختلف الناس ولتثمر الدعوة الى التعارف لا إلى التناكر ، وتعلو راية التوفيق على راية التفريق . ومنذ القديم فى نشأة الجماعات البشرية نزعت النفوس إلى تقديس أمور ورفعها عن مستوى الحقائق والأشياء المألوفة ، بل أصبحت نفوس الناس التى مستها الطاف التقدم والمدنية المصفاة لا تقبل على أمر من الأمور حتى يكون مجللا بهالة قدسية علوية ، وليس من مستودع أوفى من الديانات لتستمد منه طابع القدسية وحرارة الإيمان . ويبدو لى ان الإنسان مهما طالت حياته لا غنى له عن فترة من الزمن تطمئن فيها نفسه بالإيمان ، وليس

يقرب إلى الإيمان ويدنيه من القلوب أكثر مما يرجى فى عالم الغيب ومما يبدو فوق العقول لا تدركه العقول .

ففى الديانات إذن ما يثير فى النفس عوامل الإيمان ، ولا تستقيم الحياة الاجتماعية إلا بدواعى الإيمان . فتيارات الحياة الاجتماعية المتلاحقة المتضاربة قلما توصل المرتاب المتردد ، وقلما تدنى الأنانى المتشائم من برالسلامة ، لكنها تحمل المطمئن على أمواجها والمتفائل المستبشر المتوكل على الله الراضى بقضائه إلى شاطىء التوفيق . ولقد أصاب " ديكارت " أبو الفلسفة الحديثة حين لم يجعل فى نفسه للشك سبيلا حيال أصول الدين ومبادئ الأخلاق ، فى حين كانت طريقته التشكك المعنن فى مسائل الكونيات .

ولقد أجرى الدين الإسلامى قداسته إلى أكثر من جزئيات الحياة العملية وأوصل فيها بذلك قبسا من حرارة الإيمان ، وتلك مزايا ذكرها له «أوجست كومت» كبير فلاسفة الواقعيين .

وفى الحق أن الديانات حين تلتقى فى الإيمان بالأصول العليا ، وفى الشخوص إلى العظمة اللانهائية ، وحين تتجه أعمال الإنسان الى هذه العظمة فإن هذه الأعمال تكسب ألوان التعاظم والتسامى ، ومن ثم يصبح الدين والإيمان عملا ويصبح العمل إيمانا ودينا .

ولعلنا فى الموقف الذى نجهر فيه بأمانينا فى تعاضد الأديان السماوية لمكافحة شرور المادية وتغليب النزعات الروحية والمعنوية ، لعلنا نقدم الاستبشار ونرجح التفاؤل فالزمن موات ونفوس الناس متهيئة لتلك الدعوة .

وإنى فى خاتمة القول لا أتجاوز ساحة التفاؤل لو رمزت لما فى نفسى بما يذكر فى أساطير الاولين من نحو خمس وعشرين قرنا فى فلسفة الفرس وديانتهم حين تمثل صورة من صور الكفاح بين المادية والدينية .

فلقد قدر هؤلاء الاقدمون أن الإله أو رمزه مصدر الخير والنور والروحانية كان هو الاصل القديم الأزلى الأول ، لكنه بعد حين ارتاب فى ثقته بنفسه الخيرة فتولد عن ارتيابه " أهرمن " رب الشر والظلام والمادية حين كان خلق الدنيا فلازم إله الشر خلقها ، " وأحاط بها كما يحيط سواد الظلمة بلألاء الضياء . ووقف هذا الإله الأخير موقف المضاد المكافح لمعانى الخير التى تنبعث عن " أورمزد " كما تقاوم الظلمة اشعة النور .

ثم تمثل هؤلاء الأقدمون حياة الكون المحدود تمر فى أدوار أربعة ، ففى الدور الأول كان حكم الخير والنور ، وفى الدور الثانى تنازع النور مع الظلام والخير مع الشر بأسلحة متعادلة وكانت الحرب بينهما سجالا . أما الدور الثالث فكانت الغلبة لإله الشر " أهرمن " حين تكاثرت أباليسه وشياطينه وقواه الجهنمية . لكن فى الدور الرابع الأخير قد تغلب إله النور ، وترجح جانب الخير على الشر ، وبعث الموتى من القبور مطهرين من خطاياهم ، وتقدم " أهرمن " خاضعا تائبا لأورمزد وانطوى الشر منهضوما فى جوف الخير ، ودرجت الظلمة فى مدراج النور .

ولعل العالم بدعوته الروحية المقبلة يغلب الهدى على الضلال ، ويحقق الغلبة لأورمزد على اهرمن ، ويعلو على الظلمة الضياء .

منصور فهمى

الإسلام دين الخدمة الاجتماعية
والتضامن الإنسانى

تستمد الخدمة الاجتماعية أصولها من الروح الانسانية التى تتطوع لخدمة الضعفاء والمحتاجين الى العناية على اختلاف ضروبها : مادية ومعنوية وطبية ... ... الخ .

والدين من أشد المؤثرات فى هذا الروح الانسانية العطوف ، وقد كان التأثير الدينى عاملا من العوامل القوية فى التهذيب الوجدانى والتعاطف الانسانى ، فى جميع العصور وجميع البيئات .

واذا نظرنا الى الاسلام من هذه الناحية وجدناه دين الخدمة الاجتماعية ودين التضامن الانسانى ، سواء فى ذلك نصوصه وأحكامه أو تصرفات نبيه وخلفائه .

ويصعب علينا أن نأتى هنا بجميع تلك النصوص وجميع هذه التصرفات ، فنكتفى بأن نضرب لها أمثلة تبين كم كان لهذا الدين من فضل فى البر الاجتماعى ، وكم يصلح أساسا لمشروعات الخدمة العامة فى جميع العصور . ثم لينظر المسلمون الآن كم هم بعيدون عن روح دينهم حين يهملون الجانب الانسانى والاجتماعى فيه .

* * *

علم الاسلام أن أساس الخدمة الاجتماعية والبر الانسانى هو الروح الذى يدفع الانسان الى البر لا المظاهر التى يتراءى بها وقد يكون له فيها مآرب أخرى ، فجاء فى القرآن الكريم :

(لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ) .

فالبر إيمان فى أول الأمر واطمئنان الى عقيدة ، ثم التصدق بالمال على حبه ، ثم إخراج هذا المال فريضة محتومة فى الزكاة ، بناء على هذه العقيدة وهذا الايمان الذى يغلب على حب المال ، ويدفع صاحبه الى الصدقة والى الزكاة .

والبر روح عطوف وشعور لطيف ورحمة وحنان قبل أن يكون مالا يقصد بإعطائه الرياء أو يتبعه المن على الفقراء : (قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى) ... (لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ) .

والرحمة أساس الايمان ، أما القسوة ومجانبة البر فهى مصاحبة للكفر : (أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ. فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ. وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ).

والأمثلة فى القرآن كثيرة على أن البر شعور نفسى قبل أن يكون مظهرا ماديا وأن هذا الشعور وليد الإيمان وقرينه فى نفوس المؤمنين .

ولكن الاسلام دين عملى فهو لا يكتفى بأن يقرر هذا المبدأ ويتركه من غير تشريع ، فكثير من الناس لا يبلغ شعورهم من الرقى درجة يصنعون معها الخير بلا حافز ولا قانون ، وأوساط الناس من هذه الطائفة ، فليكن القانون دقيقا معهم وحازما ، أما الذين تندفع نفوسهم إلى الخير بوازع من الضمير : فسيؤدون هذا الخير قبل أن يطالبهم به القانون .

ولما كان المال عصب الحياة ووسيلة العمل ، فقد شرع الاسلام الزكاة ، وجعلها فرضا على القادرين ، ليوفر للبر موردا ثابتا ، وليجعل الدولة بهذا المورد مسئولة عن المحتاجين للاجتماعى وقادرة على حمل هذه المسئولية والنهوض بها : (وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ) (إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ) فهذه موارد الزكاة ومصارفها مبينة فى نصوص القانون ، وعلى الدولة أن تجبى الزكاة وعليها أن تصرفها فى وجوهها . وذلك هو البر الاجتماعى القانونى فى أرقى صوره فى العصر الحديث .

ثم لا يكتفى الإسلام بالزكاة المفروضة ، فهناك صدقات يحث عليها ويزينها ويثنى على من يجودون بها : (وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ) .

وفى موضع آخر يتحدث عن الأبرار عباد الله فيقول : (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا. إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا) .

وفى هاتين الآيتين وسواهما تفصيل لوجوه البر عن طريق الصدقات . للمهاجرين والمساكين واليتامى والأسرى ... وسواهم ممن يحتاجون للرعاية والبر بالعطف وبالطعام وبالمال وبالإيواء ، مما نسمع به الآن فى بعض الأمم التى دهتها كوارث الحرب فقف أمامه مبهوتين معجبين ؛ وهو وأمثاله عندنا من صميم الدين .

ثم يتهز الإسلام كل فرصة ليدفع المؤمنين إلى البر والجود والتبرع ، فكثير من الخطايا والأخطاء يجعل التكفير عنها بالبر ، وكثير من التقصير فى العبادات يجعل التعويض منه بالبر.

فمن حلف يمينا لم يوف بها وحنث فيها (فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ) وكلاهما بر اجتماعى وإنسانى .

(وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ)

ومن أفطر فى رمضان عامدا من غير مبرر شرعى فمن بين الكفارات التى تطهره : (تحرير رقبة أو إطعام ستين مسكينا) .

ومن ضعف عن الصيام للشيخوخة أو لمرض لا يرجى شفاؤه فعليه أن يطعم مسكينا من المساكين كفارة عن كل يوم من أيام رمضان ... وهكذا .

وإذا تجاوزنا النصوص الواردة فى القرآن الكريم والواردة فى الأحاديث النبوية وهى كثيرة لم نذكرها هنا ... إذا تجاوزنا النصوص إلى التصرفات العملية لنبى المسلمين وخلفائه وبعض ملوك الإسلام فى شتى عصوره نجدها فى الحياة العملية مصداقا للنصوص المكتوبة .

فمحمد عليه الصلاة والسلام يتصدق حتى لا يبقى لنفسه شيئا ، وكان يواسى الضعفاء بنفسه ويقول "أبغونى الضعفاء فانما ترزقون وتنصرون بضعفائكم" وشملت رحمته الإنسان والحيوان فقال من حديث : "فى كل ذات كبد رطبة أجر" .

وعمر بن الخطاب هو صاحب القصة المعروفة مع العصبية الجياع وهى المثل الكامل للخدمة الاجتماعية يؤديها الحاكم لرعاياه ، والقوى للضعيف ، والانسان للانسان . ولكن أدل منها على روح البر قصة عمر مع اليهودى : "ذلك أنه رأى شيخا ضريرا يسأل على باب . فلما علم أنه يهودى قال له : ماألجأك إلى ما أرى ؟ قال : اسأل الجزية والحاجة والسن ! فأخذ عمر بيده ، وذهب به إلى منزله ، فأعطاه مايكفيه ساعتها ، وارسل إلى خازن بيت المال يقول : انظر هذا وضرباءه ، فوالله ماأنصفناه إنا أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم إنما الصدقات للفقراء والمساكين . والفقراء هم المسلمون ، وهذا من المساكين من أهل الكتاب ووضع عنه الجزية وعن ضربائه".

فهذا مثل للبر الإنسانى المجرد عن العاطفة الدينية ، ومثل فى الوقت ذاته للبر المنظم الذى توضع له القواعد ليكون عرفا وقانونا شاملا للحالات المماثلة فى كل حين .

" وأعطى الوليد بن عبد الملك المجذومين وقال : لاتسألوا الناس ... وجعل لكل مقعد خادما ، ولكل ضرير قائدا ، وكثرت من بعده المستشفيات والملاجىء والتكايا فى أرجاء البلاد الاسلامية لإيواء المرضى والفقراء والسائحين والمحتاجين ، فما يمر سائح ببلد إلا وجد مأوى وطعاما فى هذه الدور أو فى بيوت الناس" .

فهذا الدين الذى تحوى نصوصه وشرائعه تلك المبادىء والذى يتصرف المؤمنون به هذا التصرف هو دين الخدمة الاجتماعية ، ودين البر الإنسانى ، فاذا تخلف قومه فى عصر من العصور عن الوفاء بنصه وروحه ، فذلك تقصيرهم وحدهم ، وعلى المصلح الاجتماعى أن يذكرهم بدينهم ، ويتخذ منه أساسا للخدمة الاجتماعية بينهم ، وهو أساس صالح مكين .

وذلك واجب رجال الوعظ الدينى الذين لهم بحكم مناصبهم وحكم عملهم اتصال عملى بالناس فقيرهم وغنيهم على السواء وهم بحكم ثقافتهم أجدر الناس بأن يتولوا الإرشاد الدينى على أسس اجتماعية . وأن يجعلوا مواعظهم تنصب على هذا الجانب العملى الواقعى فى حياة الشعب ؛ وإن هذا الارشاد لينتج أفضل النتائج حين يطبق الدين فيه تطبيقا واقعيا على المشاكل الاجتماعية الحاضرة ، لا حين يسلك طريق البحوث الفقهية أو التشريعات المجردة كما نلاحظ فى كثير من الأحاديث الدينية فى الإذاعة والخطب المنبرية فى المساجد .

الموظف

ما له وما عليه نحو المجتمع

لصاحب العزة أمين خيرت الغندور بك

المراقب العام لمستخدمى الحكومة والمعاشات

"أنفيت هذه الكلمة من محطة الاذاعة اللاسلكية بدعوة من وزارة الشؤون الاجتماعية" .

المحرر

الموظف ، ما له وما عليه نحو المجتمع . هذا هو الموضوع الذى تخيرته لى وزارة الشؤون الاجتماعية ، للتحدث فيه إليكم . ولقد استقبلته ، بادى الرأى ، بغير كثير من الاكتراث ظنا منى أنه يكفينى أن أقول إن الموظف زهرة الأمة وزبدة تربيتها وخلاصة تنشئتها : فلها عليه البر بها والنصح لها وعرفان صنيعها . وله عليها ألا تجحد فضله وخيره ، وأن تعرف للمحسن احسانه وللمسىء اساءته ، فتجزى كلا بما يستحقه . حسبت أنه يكفينى التوسع فى هذه الفكرة ، لأملأ فراغ الوقت بكلام ، إن نمقته وزوقته قيل أجاد ، وإن تعثرت بى الكلمات قيل رجل زُجّ به فى غير مضماره فبذل الجهد .

غير أننى رأيتنى كلما ازددت امعانا فى التفكير ، تفتحت علىّ أبواب البحث وتعاظمنى الأمر ، فرت أى باب منها أطرق وأيا أترك ، وفيها الشائك وفيها الموحش الذى يحتاج الى الهادى الخبير والدليل الخريت ، ليتحسس مواضع الأمان ويتقى مواطن الزلل .

الموظف والمجتمع ، هل هما طرفان متعارضان ؟ أو هما جسم واحد ، اذا اشتكى عضو منه تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى ؟

الموظف فرد من أفراد المجتمع ، فهل أتكلم عن الحقوق والواجبات بين المرء وعشيرته ؟

الموظف خادم المجتمع وأجيره ، فهل أعرض لما يجب أن يكون بين ولىّ العمل والعامل ؟

الموظف جزء من الحكومة ، فهل أتناول نظمها وأعمالها ، وما ينبغى أن يسود أعضاءها من تعاون وتضامن ومعدلة ، وما يجب أن تقوم العلاقات عليه بين الحاكم والمحكوم ؟

والمجتمع له شيوخ ونواب يثاونه ، فهل أبحث فى ماهية السلطتين ، التشريعية والتنفيذية وما بينهما من حدود وفواصل ؟

هذه المواضيع دقيقة لا تتسع لها دقائق الزمن الباقى ، ولو اتسعت فلا يسعنى التعرض لها ، فالمجال فيها لرجال الاجتماع ورجال القانون ورجال السياسة والدستور .

على أنى ملق عليكم بعد ما أصبت من دراسات وتجاريب ، أحوم بها حول حماها ، وأرجو الا أقع فيها .

قال تعالى حكاية عن موسى وابنتى شعيب عليهم الرضوان ، بعد أن سق لهما موسى ، "قَالَتْ إِحْدَيٰهُمَا يَـٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ . قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَـٰتَيْنِ ؛ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَـٰنِىَ حِجَج . فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ . وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ . سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ . قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ . أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ . وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ" .

ففى هذه الآيات الكريمة نجد ما يطلبه صاحب العمل من أجيره وما يتعهد به له . يطلب منه القوة والأمانة وهما جُمّاع الخصال ، فالقوة هى الكفاية ، وهى المقدرة على الاضطلاع بالعمل وحسن إدارته ، ولا يتيسر هـذا إلا بتفهم أصوله وقواعده ، والاحاطة بقوانينه وسنا شيره وتعاليمه .

غير أن القوة وحدها غير كافيـة ، بل يجب أن تقترن بالأمانة والعفة ، فلا خير فيمن يجيد عمله ولا يؤديه ، ولا خير فيمن يؤديه ولا يحسنه وهو قادر على الأحسان ، ولا خير فيمن يؤديه لغير وجهه . ومادام العامل مأجورا على عمله ، فمن الخيانة أن يمـد يده للرشا والهدايا . قال صلى الله عليه وسلم " من استعملناه على عمل ورزقناه رزقا فما أخذ بعد ذلك فهو غُلول" أى خيانة .

كان زياد إذا ولى رجلا قال له " خذ عهدك وسر إلى عملك ، واعلم أنك مصروف رأس سـنتك ، وأنك تصير إلى أربع خلال فاختر لنفسك : إنا إن وجدناك أمينا ضعيفا استبدلنا بك لضعفك وسلمتك من معرتنا أمانتك . وإن وجدناك خائنا قويا استهنا بقوتك وأحسنا على خيانتك أدبك وأوجعنا ظهرك وأثقلنا غرمك ، وان جمعت علينا الجرمين جمعنا عليك المضرتين . وإن وجدناك أمينا قويا ، زدناك فى عملك ورفعنا لك ذ كرك وكثرنا مالك وأوطانا عقبك" .

وقال تعالى حكاية عن يوسف الصديق وفرعون " وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ، قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ " .

والحفيظ هو الأمين ، لأنه يحفظ ما يستحفظه إياه وليه . والعليم هو القوى لأنه يعلم وجوه التصرف فى الأمر .

فالصفتان ، متلازمتين ، شرطان أساسيان يجب أن يتوافرا فى العامل . على أن فى هذه الآية توجيهين آخرين ، وهما أن للمرء أن يزكى نفسه بما يراها أهلا له من الأعمال ، وأن للعامل أن يتولى عمالة أو عملا من يد سلطان جائر ، عسى أن يستظهر به على إقامة الحق وبسط العدل ورفع الظلم ، على أن الدول تدول وتزول ، وقد يخلف الجائر منصف محق .

حسبنا ما أوردنا عليكم مما يجب على الأجير إزاء مولاه ، وقد قدمنا أن الموظف أجير ، وأن الأمة والحكومة ، هى فى وضعه هذا ولية العمل . ولننظر فيما يجب أن يكون عليه هذا الولى ، مسترشدين بما أخذ على نفسه شعيب النبى الكريم .

تعاقد مع موسى الكليم على العمل له ثمانى سنوات كحد أدنى وعشر كحد أقصى . أى زيادة الربع كعمل إضافى بغير أجر ، وهذا إذا ما تبرع موسى من ذات نفسه به ؛ وأراد شعيب ان يثنى مظنة استغلال سلطانه وحاجة موسى فقال . " وما أريد أن أشق عليك " بالزامك أو فى الأجلين أو بارهاقك بالعمل أو بتكليفك غير ماتم عليه الاتفاق أو بمعاسرتك فى الحساب . وقال "ستجدنى إن شاء الله من الصالحين" فأحسنُ معاملتك وألين لك جانبى وأوطئ خلقى .

وقد بر شعيب بوعده ، فلم يكن من موسى إلا أن تطوع خيرا ، فرعى له عشر سنين . سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الأجلين قضى موسى ؟ فقال " أبعدهما وأبطؤهما " ، وما جزاء الإحسان إلا الإحسان .

فالموظف وأمثاله من الأجراء لا يطلبون من ولاة الأمر فيهم ألا أن يرعوا ما بينهم من عهود ولا يسيئوا استعمال ما لهم عليهم من سلطان وما بهم من حاجة وضعف .

ولو استبدل الرؤساء الكلمة الطيبة بالنابية ، والنظرة العطوف بالشزراء ، ووزعوا الجزاء بالقسطاس ، لشحذوا همم المرءوسين و بعثوا بالطمأنينة إليهم ، ولنالوا منهم أضعاف النتاج مع الرضا والقناعة .

إلا أن الأمر غير مقصور على الرؤساء ، فكثيرون من الأمة وممثليها يستكثرون على الموظف أجره وينفسون عليه رزقه و يعيبون منه عمله .

* * *

بلغ عدد الموظفين (ماخلا الخدم والعمال) على حسب إحصاء يناير سنة ١٩٤١ — ٥١,١٢٢ ، وبلغت مرتباتهم الشهرية ٧٨٠,٧٨٨ جنيها ، أى أن متوسط راتب الموظف ١٥ جنيها شهريا .

ويبلغ عدد السكان نحو ١٦ مليونا ، أى أن لكل ٣١٣ فردا موظفا واحدا يتقاضى من كل منهم ٤٧ مليما فى الشهر ، ويبادله بها العناية آناء الليل وأطراف النهار ومن مهده إلى لحده : فهو الذى يتلقاه على أيدى القوابل والحكيمات ، وهو الذى يوفر له الغذاء السليم ، ويوقيه الأمراض والأوصاب ، وهو الذى يتولاه إذا أيفع بالتعليم والتهذيب ، حتى إذا بلغ أشده كفل له موارد الرزق وكفاه شر البطالة ، وحماه من سلطان الطغاة من ذوى الثراء ، وهو الذى يدفع عنه أذى المعتدين ، ويرد إليه حقوقه ، ويوفر له الأمن والأقوات ، ويسر له الرى والصرف واستفلاح الأرض ويتقى له البذور ويبعد عنه شرور الآفات ، وينظم له الأسواق حتى تنفق فيها سلعته وعروضه ، وهو الذى يفاوض عنه الدول ويرقب مصالحه فيها ، وهو الذى يدافع عن بيضة البلد الذى يأويه وهو الذى يجبى منه بالعدل نصيبه فى نفقات الدولة ، ويوزعها بالعدل على مرافق الدولة ، كل هـذا ، حسبة فى سبيل الله والوطن والشعب ، وكل هذا لقاء خمسة قروش أو أقل يدفعها الفرد كل شهر ، ويقاسمه فى هـذا الغرم الموظف المسكين .

ولقد دل الاحصاء المتقدم ، على أن من بين هؤلاء الموظفين ٢٩,٠٥٠ يعولون أولادا تبلغ عدتهم ١٦٠,٢٦١ أى أن نصيب كل موظف منهم خمس أنفس ونصف نفس .

فنهبوا أحدهم فى الجامعة ، واثنين بالمدارس الثانوية واثنين بالمدارس الابتدائية ، والنصف الباقى بالمجان ، أما الأول الذى فى الجامعة ، فمصاريفه فى السنة خمسون جنيها ، وأما اللذان فى المدارس الثانوية فمصاريفهما فى السنة أربعون جنيها ، والآخران اللذان فى المدارس الابتدائية مصاريفهما أربعة وعشرون جنيها ، فيكون مجموع ذلك أربعة عشر جنيها ومائة جنيه فى العام ويتبقى للموظف بعد هـذا ستة وستون جنيها ، أى أن لكل شهر خمسة جنيهات ونصف جنيه للسكن والقوت والكسوة له ولزوجه وولده هؤلاء جميعا .

هذا هو الموظف ، وهذا هو رزقه الضئيل ، كما تبين لكم من الاحصائيات الدقيقة ، فارفقوا به فما أجلّ ما يعطى وما أهون ما يأخذ منا

أمين خيرت الغندور

الاتجاه الاجتماعى والقومى فى شؤون التعليم

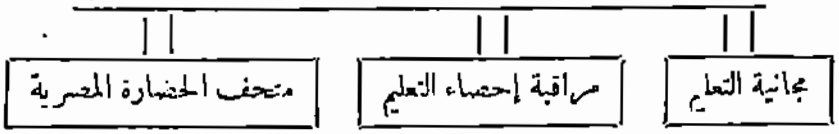

بقلم الأستاذ سيد قطب

أخذت الاتجاهات الاجتماعية والقومية تفرض نفسها فرضا على شؤون التعليم ، وعلى كثير من الشؤون الأخرى فى هذا الوطن ، وأخذ المسئولون عن هذه الشؤون يحسون بضرورة الاستجابة لهذه الاتجاهات ، لأن التيار العالمى والضرورات الداخلية تحتم هذه الاستجابة.

وتلك علامة خير لا شك فيها ؛ فالعالم كله يتهيأ لتطورات جديدة ، ومصر محطة العالم ، منذ أقدم الأجيال لا تستطيع أن تقف فى معزل عن التيارات العالمية بحال من الأحوال . فإذا أحس المسئولون فيها بضغط هذه التيارات فاستجابوا لها ، فتلك علامة خير على كل حال.

والمشروعات الثلاثة التى صنونا بها لهذا المقال هى بعض المظاهر المحسوسة لتلبية الدواعى الاجتماعية والقومية فى حياة هذه البلاد الداخلية وللدواعى العالمية التى تمخض عنها الحرب الحالية ، فلنقل كلمة عن كل من هذه المشروعات الثلاثة .

مجانية التعليم :

الحياة الديمقراطية معناها اشتراك كل فرد من أفراد الأمة فى توجيه سياسة الحكم وفى الإشراف على هذا التوجيه ، وذلك المعنى يتحقق حينما يصبح كل فرد فى الأمة قادرا على التمييز أولا ، وقادرا على التوجيه ثانيا . وهذه القدرة لا تتحقق إلا حين يتمتع كل فرد من أفراد الأمة بقسط مناسب من المعرفة ، أى بقسط مناسب من التعليم .

ولكن للتعليم فى مصر أجورا لا تقدر عليها إلا أقلية ضئيلة من مجموع الشعب ، ومعنى هذا أن الأغلبية الساحقة من الأمة كانت ستحرم من المعرفة التى تهيىء لها الاشتراك الحقيق فى توجيه سياسة الحكم وفى الإشراف على هذا التوجيه ، هذا الإشراف وذلك الاشتراك اللذان لا يتم معنى الحياة الديمقراطية إلا بهما .

ومن هنا كان التفكير فى جعل التعليم الزاميا مصاحبا لابتداء الحكم الديمقراطى فى مصر ، وكان هذا العمل منطقيا لأنه لا ديمقراطية بلا اشتراك فى توجيه الحكم ، ولا اشتراك فى التوجيه بغير قسط مناسب من المعرفة .

وبالتجربة اتضح أن التعليم الإلزامى بوضعه الحاضر لا يفيد المعرفة المناسبة، بل لا يزيل الأمية إلا ريثما تعود بعد قليل ، واتضح أن الحد الأدنى للقسط المناسب من التعليم هو ما يسمى " التعليم العام " فى انجلترا وفرنسا وأمثالها، وهو ما يعادل التعليم الابتدائى ومرحلة من التعليم الثانوى عندنا .

ومن هنا اتجهت نية المسئولين فى وزارة المعارف هذا العام إلى أن يكون هذا التعليم العام بالمجان ، وأن يتاح لكل الراغبين فيه المستعدين له ، ليتم بهذا الإجراء تحقيق معنى الديمقراطية السياسية . وليتاح لمن يريد قسط كاف من المعرفة .

ولكن هؤلاء المسئولين لن يحققوا بذلك معنى الديمقراطية السياسى فحسب، بل سيحققون كذلك المعنى الاجتماعى لها. ذلك أن أول معانى الديمقراطية الاجتماعية هو التسوية فى فرص النجاح بين جميع أفراد الشعب، وذلك بتزويدهم بقسط أساسى من وسائل الكفاح فى الحياة وأول هذه الوسائل هو التعليم ، الذى أصبح سلاح الكفاح الأول فى المجتمع الحديث .

وسيتبع تحقيق المعنيين السياسى والاجتماعى للديمقراطية تحقيق المعنى الثالث لها وهو المعنى الاقتصادى ، فإنه يجىء تبعا لهما ، ويصبح تحققه ضروريا بعد تحققهما . وهذا البيان يصور عظمة العمل الذى يفكر فيه المسئولون فى وزارة المعارف ، ويصور ضرورة تحقق هذا العمل ، مهما بدا فى أول الأمر من ضخامة تكاليفه المادية ، على أن هذه التكاليف — لحسن الحظ — ليست من الضخامة بحيث تعجز عنها مالية الدولة حتى فى هذه الأيام .

وفى هذا المعنى يقول رجل كبير مسئول عن هذه الشؤون :

" أحب أن أقول فى صراحة : إنى أرى ان التعليم العام والفنى يجب أن يكون بالمجان كله ، لأن الدولة إنما أنشئت لتحمى الوطن ، لا من العدو فحسب ، بل من العدو المغير على أجسام أبنائه وعقولهم وأخلاقهم ؛ فإذا كان من الواجب على الدولة أن تحمى حدود الوطن من الحرب الخارجية ، فأوجب من ذلك عليها أن تحمى الوطن من أبغض حرب داخلية ، وهى التى تأتى من الفقر والمرض والجهل .

" والذى أعلمه أن الحكومة تميل إلى تعميم المجانية فى التعليم الابتدائى والثانوى شيئا فشيئا ، والمسألة عندها هى تعويد الميزانية على النهوض بمثل هذا العبء ، ويخيل إلى أن البرلمان يستطيع أن يحل هذه المشكلة ويريح منها الأغنياء والفقراء إن أراد " .

وإننا لعلى ثقة بأن البرلمان " يريد " فالتحقيق العملى لكل معانى الديمقراطية من أشد ما تحرص عليه البرلمانات ، لأنها هى وليدته ، وهى الحفيظة عليه والحارسة له ؛ والمبالغ التى يؤديها التلاميذ ليست شيئا بالقياس إلى ما تنفقه الدولة الآن على التعليم ، والاستغناء عنها لن يضير الميزانية كثيرا ، وهذا هو ما يقوله سعادة المستشار الفنى للمعارف .

" الذى تكسبه الدولة الآن من التعليم ليس شيئا إلى جانب ما تنفقه عليه ؛ و بعد فإن الدولة لا تطالب الذين يؤدون الخدمة العسكرية بالمصروفات ، فلتنظر إلى الذهاب إلى المدارس على أنه نوع من أنواع الخدمة العسكرية للدفاع عن الوطن ، ولتنظر إلى التعليم كما تنظر إلى الجيش ، وكما أنها لا تنتظر من الجيش ربحا ، فليس ينبغى أن تنتظر من التعليم ربحا " .

هذا كلام جيد ، وكلام صحيح ؛ وفاتحة عهد تبشر بالخير فى تحقيق الاتجاه الجديد .

ولنذكر أن ليست الديمقراطية وحدها هى التى تطالبنا بهذا الإجراء ، وليست الدوافع المعنوية وحدها هى التى تطالبنا به . بل إن مصالحنا الاقتصادية تحتمه علينا أيضا ؛ فنحن نحيا فى عالم مثقف مزود بكل وسائل الصراع فى الحياة ؛ فما لم نسلح أنفسنا بالثقافة لن نفوز فى هذا الصراع العالمى . وستنتهى الحرب ، فتتجه الأنظار جميعا إلى الاستغلال الاقتصادى والتعمير الإنشائى ؛ ومصر يجب أن تشترك فى هذا كله ، و إلا ضاعت الفرص المهيأة لها فى المستقبل ؛ كما ضاع كثير من الفرص التى أتيحت لها من قبل فى ميادين الاقتصاد . وأول وسيلة للاشتراك فى هذا السباق هى الثقافة التى تزود بها أكبر عدد ممكن من أبنائها .

إن مصالح الوطن العليا جميعا تتضافر على تحقيق ما يريده المسئولون فى وزارة المعارف فعسى أن يجدوا من الجميع تسهيلا لمهمتهم ، وعونا على اتجاههم ، لمصلحة البلاد .

مراقبة إحصاء التعليم :

كان من العيوب الأساسية فى سياسة التعليم عندنا أنه يمضى على غير سياسة مرسومة ، ولغير أهداف معلومة ، ودون الاعتماد على أى إحصاء محدود .

ونشأ عن هذا العيب أن المدرسة لم تكن تلبى حاجة السوق ، وأن السوق اضطرت لاستيفاء حاجتها عن غير طريق المدرسة ؛ و بينما كان هناك عدد ضخم يبلغ عشرات الألوف من المتعلمين المتعطلين لا يجدون عملا ، كانت دوائر الأعمال — ولا سيما الصناعية — تضطر أن تأخذ من غير المتعلمين فى المدارس من تمهد إليهم بأعمالها لأنهم أوفى بحاجتها من المتعلمين !

و بينما كانت معاهد معينة تقذف إلى الحياة كل عام بمئات وعشرات ممن لا مجال لهم فى ساحة النشاط الاقتصادى الحاضر ؛ كانت ميادين النشاط تنقصها فئات من متخرجى المعاهد الأخرى أو ممن لم تنشأ معاهد مصرية لتخريجهم ، فاستقات المعاهد الأجنبية بتوريدهم للسوق .

ولا يخفى ما فى هذا كله من ضرر اجتماعى ، وخسارة اقتصادية ، وارتباك فى شؤون التعليم فى الأمور التى لم تعد الحياة العامة تطيقها ، ولا الوضع الاجتماعى والاقتصادى لمصر يتحملها .

ومن هنا نبتت الحاجة إلى مراقبة إحصاء التعليم ؛ ووكل إليها أن تقوم بوضع إحصاءات تشمل كل ما يختص بشؤون التعليم النظرية والعملية ، ومنها ما ذكرناه فيما تقدم من دراسة حاجة السوق العملية ومدى انتفاعها بالمتخرجين من المعاهد على اختلافها ، وعدد المتعطلين من كل فئة وأسباب تعطلهم ، ومعرفة مواضع النقص فى نظم التعليم الحالية على أساس ما تشاهده وتحصيه فى الحياة العملية .

ونحن ننتظر أن يكون لهذه المراقبة أثر عملى فى توجيه سياسة التعليم ، وبتعبير أدق فى وضع أسس للسياسة التعليمية فى المستقبل ، ولكننا نقدر المصاعب التى تعترضها ، وأولها ضخامة العمل الذى ستضطلع به فى المبدأ ، إن وضع إحصائية عن المتعطلين وفئاتهم وأسباب تعطلهم هو وحده عمل كبير ، فإذا أضفنا إليه دراسة حاجات السوق المتشعبة من الكفايات العلمية والعملية واقتراح الوسائل لتلبية هذه الحاجات ، بانت لنا ضخامة هذه المهمة ، بغض النظر عن سواها من المهام المنوطة بها .

وإنما تحدثنا عن هاتين المهمتين لأنهما فى اعتقادنا أهم وظائف المراقبة الجديدة التى لا يجوز أن تشغل نفسها بإحصاءات داخلية ديوانية تستغرق معظم نشاطها ، وتغفل عن الغرض العملى الأساسى من وراء إنشائها ، وذلك الغرض هو إيجاد التوازن بين حاجة السوق وبين المتخرجين .

وما من شك أن النتائج الاجتماعية لأعمال هذه المراقبة هى نتائج بارزة ، فالمجتمع السليم هو المجتمع المتوازن ، والحياة الاقتصادية الآن قاسية بالغة القسوة ، وهى لا ترحم الأخطاء ولا تتسامح فى النقص أو الاضطراب ، ويجب أن تسير الأمم فى هذه الشؤون كالساعة فى دقتها وانتظامها وإلا اختلت ووقفت عن التقدم ، واجتاحتها القوى العالمية المستعدة للصراع .

ولقد خسرت مصر فرصا ذهبية كثيرة ، لأن أبناءها لم يكونوا مزودين بوسائل الصراع كالآخرين ، ولأن السياسة التعليمية فيها لم تكن قائمة على أساس الإحصاء ، ولأن الصلة بين المدرسة وبين الحياة كانت منقطعة . فالآن ونحن على أبواب عالم جديد ، تتمخض عنه الحرب القائمة ، لا بد لنا من التهيؤ والاستعداد .

وقد كتب سعادة رئيس ديوان المحاسبة فى مجلة أسبوعية كلمة جاء فيها :

" من واجبنا أن نعيد النظر فى سياسة التعليم ، فنعمل على تخريج عمال مهرة يشعرون بمسئولياتهم و بواجباتهم لا موظفين يجلسون على المكاتب و يسعون وراء الدرجات ، وأعتقد أن الشبان المصريين ليسوا مسئولين وحدهم عن نقص استعدادهم للأعمال الحرة ، بل إن المسئول أيضا عن ذلك هى سياسة التعليم ، و إحجام أصحاب الأعمال الأجانب عن تشجيع الشبان المصريين ، و إغلاق مؤسساتهم فى وجوه شبابنا".

والآن نعتقد أن إنشاء مراقبة إحصاء التعليم سيساعد مساعدة جدية فى إزالة العقبة الأولى ، أما العقبة الثانية فإنه يسهل على السلطات علاجها بعد أن تسلح الشبان المصريون على ضوء الإحصاء والدراسة — بالأسلحة المناسبة ، ثم تفتح لهم الطريق الطبيعى فى ميادين الأعمال مصرية كانت أو أجنبية .

متحف الحضارة المصرية :

بقيت مصر القديمة — مصر العريقة فى منابت الزمن ، الضاربة فى مجاهل التاريخ — وهما غامضا فى نفوس المصريين المحدثين ، لا يعرفون عنها إلا ما وراءه بعض المؤرخين القدماء من الخرافات والأباطيل. ومع أن البحوث الحديثة قد كشفت عن زيفه إلا أنه ظل يدرس فى المدارس المصرية ، ويملأ أذهان التلاميذ بصور مشوهة عن مصر القديمة العريقة .

وهذا التاريخ على مابه من أخطاء لا يبلغ أن يكون تاريخا كاملا ، و إنما هو مقتطفات سريعة ووقائع منفصلة ، وأخبار عن الملوك وعن الأحوال السياسية ، لا ذكر فيه للشعب ، ولا تصوير للمجتمع ، ولا عرض للحضارة ، مما يجعله مبتورا مملا ، لا يعلق بنفس ولا ينبض بحياة .

ولم يبسط هذا التاريخ متسلسلا حيا ، بوصفه تاريخ حياة لأقوام وأجيال عاشوا فعلا على هذه الأرض عيشة طبيعية فى عصر من العصور ، حتى يشعر المصرى المعاصر بما بينه و بين أجداده من وشائج القربى وصلات الإحساس وروابط التفكير وعلاقات التقاليد ، فيحس حينئذ أنه امتداد لهؤلاء الأجداد ، وأن بينه و بينهم صلة من الدم ورابطة من الجنس وعلاقة من العادات ومشابه من الحياة على الرغم من الزمن الطويل السحيق .

والأمم التى تريد النهوض ولا تجد لها ركيزة من الماضى تزور لها تاريخا ، وتحاول أن تنفخ فيه روح الحياة . أو تتصيد لها أبطالا من كل نوع وتلتف حول ذكراهم ، لأن الحاضر والمستقبل يرتكزان على الماضى ارتكاز سوق النبات على جذوره . أما مصر الخالدة

التى عاملها التاريخ بسخاء عجيب ، فحفظ لها ماضيها خالدا ماثلا على مر الأجيال فلم تحاول أن تنتفع بهذه الميزة المفردة ، وكانت تكتفى من هذا الماضى كله بألفاظ جوفاء وصيحات فارغة ؛ وهى لاتعمل عملا جديا لإحياء هذا التاريخ .

وحيثما سار المصرى الآن يجد مصر القديمة العريقة ماثلة فى الآثار والتماثيل والكتابات والنقوش ، ماثلة فى كثير من العادات والتقاليد والألفاظ والأسماء التى صانها الزمن من النسيان ، ونقلها خلال الأجيال الطويلة . ومع هذا لايفتح قلبه ليسمع نداء هذه الأطياف السارية فى مجاهل الأبد ، وإنما يقف كالأبله أمام آثار أجداده ، بينما تهتف به أرواحها الحية وهو عن ندائها أصم !

والتاريخ القومى لاتطلب معرفته لمجرد المعرفة — على ما فيها من لذة ومتاع — ولكنه ضرورة وطنية وقومية واجتماعية . بل ضرورة شخصية فى بعض الأحيان .

هو ضرورى ليطبع الناشئ حين يختلط بحسه و يمازج نفسه بطابع القومية الخاصة بشعبه وليشعره أنه فرع من دوحة قديمة ، فيه منها مشابه وله بها صلات ، وليس حب الوطن إلا هذا الشعور المبهم العميق .

والفرد حين يحس هذا الإحساس تنمو فى نفسه وجدانات التعاون والتواد بينه وبين المواطنين المتفرعين من دوحة قديمة لاتزال تنبثق منها الفروع والأفنان ، بينما جذورها وثيقة فى التربة الخالدة وراء الأزمان .

و إنه ليشعر بكثير من الغبطة حين يحس بامتداد أصله وتوثقه ، و بمقدار ما يشغله هذا الأصل من فراغ الدنيا وحلقات الزمان ، ثم تتسع نفسه حين ينفعل بآلاف الحوادث وآلاف المواقف فى تاريخه الطويل انفعال القرابة والمشاركة بين القريب والقريب ، فاذا هى نفس تلخص ملايين النفوس التى سبقتها على مسرح هذا الوطن العريق .

فالأعمال العظيمة ، ومواقف البطولة ، والحوادث الجسام ، والآمال والآلام ، وجميع ما حوته الأحقاب الطويلة من تاريخ الوطن ، انما هى روافد لنفوس كل جيل ، وحوافز لمشاعر كل فرد ، وليس الغابرون فى مسارب الزمن جثثا هامدة مسجاة فى الأكفان مطمورة فى الرمال ، وانما هم ذوات حية ، يمكن أن تقع لهم معجزة البعث فى كل لحظة ، فيتقمصون شخوصا تشاركوننا هذه الحياة الحاضرة ، وتلك المعجزة فى عداد الممكنات ، طالما أن خيالنا مستطيع أن يطل على مسرح الماضى ، وأن ينفعل بحوادث التاريخ .

كيف تقع المعجزة ؟ كيف نبعث الموتى وننهض الماضى ونجسم التاريخ ؟

إن الزمن الذى عامل مصر بسخاء عجيب حفظ لها آثارها وتاريخها ليجعل هذه المعجزة أمرا هينا ، فعلى مرأى منا ومسمع تطل مصر القديمة وتهتف ، وما علينا الا أن نلقى بالنا اليها ، فتتم المعجزة من أيسر طريق .

ومتحف الحضارة المصرية أحد الوسائل لوقوع المعجزة ولبعث التاريخ ، وقد انتهى القائمون على أمره من إعداد القسم الخاص بمصر الفرعونية ، وبدءوا القسم الخاص بالعهد القبطى ، وسيتبعونه بالأقسام الخاصة ببقية العهود الى العصر الحديث .

وقيمة هذا المتحف أنه يرسم صورة كاملة مسلسلة لمصر منذ أقدم الأجيال الى اليوم ، فتبدو كائنا حيا متصل الأجزاء مرتبط الأعضاء ، ويعلم المصريون المعاصرون أن وطنهم خالد عميق فى مجاهل الزمن ، وأن تاريخهم ليس متقطعا ممزقا كما هو فى كتب التاريخ المشوه بأيدى التلاميذ .

إن مصر أعرق أمة فى التاريخ ، وهى الأمة الوحيدة على ظهر الأرض التى عمرت أربعة آلاف عام متصلة ، تهضم كل من يدخلها من العناصر والجنسيات ، وتلون كل ثقافة وكل فلسفة ، ان مصر هذه لجديرة من أبنائها بهذا المتحف وبغيره من الجهود التى تصورها على حقيقتها لأبنائها الناشئين .

وإن مصر مربية العالم ، وهى الأمة التى آوت المشردين ، وابتلعت الفاتحين ، وهذبت المتوحشين ، واحتضنت الأديان ، ولقحت الفلسفات ، لجديرة بأن تبدو على حقيقتها فى القرن العشرين .

وقد لقيت مصر فى كثير من الأزمان ، من حاول أن يكذب عليها ويلصق الخرافات بها ، ولا تزال تلقى الآن مثل هذا الصنيع من الأجانب ومن بعض أبنائها المخدوعين وان بعضهم لينشر فى هذه الأيام أكاذيب بذيئة عن مصر القديمة وعن العنصر المصرى يبدو فيها الغرض والجهل ، وهى فى ذاتها تافهة لا تستحق الاهتمام ولكن بعض الصحف الأجنبية تتلقفها وتذيعها لأنها تتفق فى الغرض مع الكائدين للوطنية المصرية ، فمن حق مصر أن تصور التصوير الصحيح ، وهو وحده كفيل بدحض هذه الخزعبلات والأباطيل .

وان كان لنا ما نقوله فهو أن نستعجل قيام "متحف الحضارة المصرية" بكل وسيلة وبكل طريق .

سيد قطب

الثروة الحيوانية الضائعة

مصر بلد زراعى ، فطبيعى أن تكون الثروة الحيوانية هى ثانى موارده العامة الأساسية ، على اعتبار أن الثروة الزراعية هى المورد الأول ، وليس هذا بدعا فى التكوين الاقتصادى للشعوب الزراعية . ، فها هى ذى أمة صغيرة كالدانمرك لا يتجاوز سكانها ثلاثة ملايين وثلاثة أرباع المليون ولا تزيد مساحة أراضيها على ثلاثة وأربعين ألف كيلو متر مربع ، ثلاثة أرباعها أرض صالحة للزراعة أى نحو مليون فدان ومع ذلك أصبحت ثروتها الحيوانية منبعا من منابع ثروتها وجزءا هاما من صادراتها ، ويكفى أن نذكر أرقام ما تملكه من الثروة الحيوانية لتظهر هذه الحقيقة .

فقد كانت تملك قبل الحرب ٣,٥٠٠,٠٠٠ رأس من الماشية و ٢٠,٠٠٠ رأس من الأغنام و ٥,٠٠٠,٠٠٠ رأس من الخنازير و ٢٢,٠٠٠,٠٠٠ دجاجة ، ونحو نصف مليون حصان ، وبلغت صادراتها ما قيمته نحو خمسين مليونا من الجنيهات أكثر من نصفها خاص بالثروة الحيوانية .

أما المملكة المصرية الخصبة الواسعة الأراضى فبعد أن كانت تصدر سنويا نحو مائة ألف رطل من السمن ومقدارا معينا من الجبن والجلود ، تدهورت هذه الصادرات الضئيلة وأصبحت تستورد بمبالغ ضخمة من المنتجات الحيوانية كل عام . فهى مثلا كانت قبل الحرب تستورد أغناما بما قيمته ٨٠,٠٠٠ جنيه وماشية وجاموسا بمبلغ ٧٠,٠٠٠ جنيه وجمالا بمبلغ ١٥٠,٠٠٠ جنيه ودجاجا وطيورا بمبلغ ٢٥٠٠ جنيه ولحوما بمبلغ ٥٢,٠٠٠ جنيه ومنتجات ألبان بمبلغ ٣١٠,٥٠٠ جنيه وسمادا كيماويا (يمكن الاستغناء عن جزء كبير منه بالسماد الحيوانى لو توافر) بما يزيد على مليونين من الجنيهات .

ومعنى هذا أن مصر البلد الزراعى لا يكفى نفسه من المنتجات الحيوانية ، ودع عنك ما كان يجب أن يصدره كما تصنع البلاد الزراعية الأخرى وفى مقدمتها الدانمرك واستراليا .

وأهم الأسباب لهذه الحالة قلة عنايتنا بتربية الحيوانات مع أنها — على قلتها الآن — تكون جزءا مهما من ثروتنا القومية يبلغ حوالى خمسة عشر مليونا من الجنيهات ، فلو عنينا بها عناية البلاد الزراعية فأكثرنا من عددها ، واخترنا أنواعها ، وحفظناها بالتأمين عليها ، لازدادت هذه الأرقام أضعافا كثيرة .

وقد دارت بحوث كثيرة حول إنشاء المراعى لتربية الأغنام ، كما اعتمد مبلغ ضخم لتحسين نسل الجاموس ، وكثرت الاقتراحات حول التأمين على الماشية ، ولكن هذه المشروعات جميعا تسير ببطء شديد ، ولا تلقى الاهتمام الذى يتناسب مع قيمتها الحقيقية ، بل لقد اتخذت المجلات الهزلية من مشروع تحسين نسل الجاموس مادة للفكاهة والسخرية ، لأن " النكتة " عندنا أهم من كل مشروع عملى !

ولسنا ننوى أن نتحدث عن هذه المشروعات ، إنما نعنى أن نقول : إننا نضيع حتى الثروة الحيوانية الضئيلة الموجودة فى أيدينا الآن ، لأننا نستخدمها سوا استخدام ، ولا نحاول أن ننتفع بالوسائل الحديثة فى تنميتها واستغلالها ونضرب على ذلك الأمثال .

* * *

١ — فاللبن — وهو المادة الحيوانية الأولى — لا نعنى بتربية الأنواع التى تدر أكبر كمية منه وأجود نوع يحتوى على قدر كبير من المواد الدهنية والجبرية ، مع أن تكاليف البقرة أو الجاموسة الحلوب تساوى تكاليف مثيلتها غير الحلوب أو القليلة اللبن ، أو ذات الحليب المائى القليل الدهن والكلسيوم . ذلك أن الفلاح يعتمد على خبرته المحدودة فى انتقاء ماشيته ، وكثيرا ما تؤدى نظرته الأولى عند الشراء إلى عكس ما يظن ، لأن اعتماده كله على تقدير حجم الضرع ، وقد يكون هذا الحجم شحما وعضلات لا تدر اللبن .

ثم إن معظم الأنواع الموجودة فى مصر قليلة اللبن على العموم ورديئة اذا قيست بالأنواع الممتازة فى البلاد الزراعية الأخرى ، وعملية تحسين النسل وتهجين الأنواع الممتازة حتى تعيش فى البيئة المصرية هى التى تحقق لنا كثرة الإدرار وجودة الألبان .

على أن اللبن الذى تدره الماشية — وهو قليل نسبيا — نستخدمه بصورة أولية ساذجة فالفلاحة هى التى تتولى ذلك عادة بصفة فردية ، فترقد اللبن أو تخضه لتحصل على القشدة والزبدة وتصنع الباقى جبنة رديئة ، أو هى تبيع اللبن للتناول بثمن بخس ، وفى كلتا الحالتين تضيع الفرصة التى تنتج من هذا اللبن أنواعا ممتازة من الجبن أو كمية كبيرة من القشد والزبد .

ولو أن خريجى المعاهد الزراعية عنوا باستخدام علمهم وثقافتهم فى ميدان العمل الحر ولم يتمسكوا بالوظائف الحكومية التافهة ، لاستطاعوا أن يجمعوا هذا اللبن من الريف بطريقة منتظمة ، ويقوموا باستغلاله استغلالا مفيدا ولعاد ذلك على الفلاحين المساكين بالخير اذ ترتفع قيمة ألبانهم وتصبح موردا حقيقيا لأرزاقهم .

٢ — والفضلات الحيوانيـة ، وهى مادة سماد جيد كانت تعتمد عليهـا مصر اعتمادا حقيقيا فى الزراعة قبل ربع قرن ، ولكننا نستخدمها فى أقل الوجوه نفعا حين تستعمل وقودا فى الريف ، فهى أولا لاتنشئ طاقة قوية من الحرارة ، وهى ثانيا تذهب ضياعا فلا تنشىء سمادا عضويا ثمينا .

والسبب فى هذا راجع الى جهل الفلاح وفقره ، والى قلة موارد الوقود العامة ، فأما الجهل فهو الذى يجعله ينفق هذه الفضلات فى الوقود ثم يشترى بعد ذلك السماد الكيماوى بأغلى الأسعار ، وأما الفقر فهو الذى يجعله عاجزا عن شراء مواد الوقود الأخرى كالفحم والخشب مع حاجتـه للدفء فى الشتاء بسبب خفة ملابسه وللوقود فى انضاج الخبز والطعام بوسائله الساذجة ، وأما قلة مواد الوقـود فناشئة عن عدم عنايتنا بزراعة الأشجار الخشبية التى تسد مسد الفضلات الحيوانية ، وتنشىء طاقة أكبر وحرارة أعلى ، فضلا على فوائدها للصناعات الأخرى الكثيرة .

٣ — والصوف والشعر والوبر هى آخر ما نفكر فيه عند تربية الأغنام والماعز والجمال وذلك وضع مقلوب ، فالسبب الأول لتربية الأغنام فى انجلترا مثلا هو الصوف ، والسبب الأول لاقتناء الماعز فى تركيا وفى بعض البلاد الروسية هو الشعر ، وكذلك الجمال ذات الوبر الطويل فى البلاد العربية وبعض البلاد الأمريكية .

إنما نعنى نحن تارة بنتاج اللحم وتارة بنتاج اللبن فى تربيتنا للحيوانات ، وهذان الغرضان يمكن توافرهما مع العناية بنتاج الصوف والشعر والوبر ، وذلك بتهجين بعض الأنواع الممتازة وأقلمتها فى الأقاليم المصرية المناسبة لها .

ومع أن معظم الأصواف ردىء فى الأغنام التى تعيش فى مصر وقليل الكمية فقد وجدت صناعة منتشرة تقوم على غزل هذا الصوف بالطريقة الأولية الساذجة على المغزل اليدوى ، ونسجها على المنوال الريفى ، ووجدت كذلك صناعة السجاد والأكلمة من نفايات الصوف أو رديئـه ، فلو توافر الصوف الجيد والكميات الكبيرة لارتقت صناعتـه ، وأصبحت من موارد الثروة فى البلاد .

٤ — وكذلك الجلود ، فقد كانت مصر الى عهد قريب لاتعنى بسلخها ، فكانت تتمزق على أيدى القصابين الجهلاء ، وأخيرا تقرر ألا يسمح بعملية السلخ فى المجازر العامة إلا لجماعة من المهرة بحيث تخرج الجلود سليمة .

ولكن عملية الدبغ لم تصل بعد الى درجة الجودة ، وكثير من الجلود يصـدر خاما الى الخارج بثمن بخس ، ثم يعـود إلينا مدبوغا بثمن مرتفع ، أو يعود أحذية مصنوعة بأثمـان عالية .

ولو عنينا بعملية الدبغ كما عنينا بعملية السلخ لكانت هذه الجلود مورد ثروة ، ولاشتغل بها عدد من الأيدى المتعطلة ، ولكفتنا مؤونة الاستيراد وصعوباته فى مثل هذه الظروف .

على أن نفايات الجلود المتخلفة من الدباغة تصلح لأشياء كثيرة ، والمدابغ القائمة فى مصر الآن وهى فى أيدى الأجانب تستخدم هذه النفايات استخداما يدر قسطا من المال !

٥ — أما اللحوم ، وهى التى نعنى بها أول ما نعنى فى تربية الماشية والأغنام — فنحن نأكلها طازجة دائما ولا نحاول أن نجعلها لحوما محفوظة نستغنى بها عما نستورده من هذه الأنواع وقيمته تبلغ نحو خمسين ألف جنيه فى العام .

والسبب فى هذا هو قلة ماشية اللحم فى مصر نسبيا ، إذ أنها تستورد أعدادا كبيرة منها كل عام — وهو ما يؤسف له — ثم قلة الاستعدادات الصناعية لهذه العملية ، كما هو الحال فى الدنمارك واستراليا . ولو وجدت صناعة اللحوم المحفوظة لكانت مادة ارتزاق لعدد من المتعطلين من ناحية ، ولكفتنا مؤونة الاستيراد ، إن لم نصدر للبلاد المجاورة من ناحية أخرى .

٦ — ثم نأتى لمسألة مهمة وهو استخدام الجهد البدنى لحيوانات اللبن واللحم . هذا الاستخدام الذى يكون سببا فى هزالها وقلة إدرارها أو انقطاعه .

والواقع أن هذا الاستخدام هو أشد الوسائل خسارة فى الاستغلال . فالفلاح يستخدم البقرة أو الجاموسة فى حرث الأرض بالمحراث والرى بالساقية وفى درس المحصول بالنورج وإلى عهد قريب جدا كان يستخدمها فى طحن الحنطة والذرة فى مطاحن ثقيلة رديئة .

ولم ينقذ الماشية من هذه المطاحن إلا توافر المطاحن الآلية ورخص أجورها . فلو أمكن أن تتوافر آلات الحرث والرى والدرس كما توافرت آلات الطحن ، لأنقذت الماشية من هذا العذاب أولا ، ولزاد إدرارها ولحومها ثانيا .

والفلاح المصرى الفقير معذور فى استخدام الجهد البدنى للماشية على هذا النحو الخاسر لأن فقره يحول بينه و بين استخدام الآلات الزراعية الحديثة ، ولكن لو انتشرت حركة التعاون لانتفت حاجته إلى استخدام الماشية ، ولأصبح قادرا على استخدام الآلة . فالمزرعة التعاونية تستطيع أن تشترى الآلات اللازمة بثمن مقسط وموزع على الجميع بحيث لا يشعرون بثقل وطأته وتأثيره فى مقدرتهم المالية .

وهذه ناحية من أهم النواحى فى توفير الثروة الحيوانية ، وفى التقدم الزراعى أيضا ، وإنه لمن المحزن أن ينظر الإنسان إلى الرسوم والنقوش التى حفظها التاريخ لوسائل الزراعة فى مصر

منذ أربعة آلاف سنة ، فيراها لا تزال تعيش حتى اليوم ، ولا تزال الطرق القديمة هى نفس الطرق المستعملة فى القرن العشرين .

ولا يكاد يوجد بلد زراعى آخر فى العالم المتحضر يستخدم هذه الوسائل الساذجة إلا مصر وقد آن أن ترتقى هذه الوسائل وتتحول ، ولا سيما إذا كانت الخسارة فى استخدامها على النحو الحالى محققة فوق ما هى متوقعة .

والأمل الوحيد القريب هو انتشار حركة التعاون — كما أسلفنا — لإمكان استخدام الآلات فى المزارع التعاونية بدل الماشية المسكينة .

٧ — بقيت الأسماك والطيور والأرانب ، وهى من الثروة الحيوانية ، على الوجه الأعم ، فأما الأسماك فمحصولها قليل جدا بالقياس إلى طول الشواطئ المصرية البحرية والنهرية ، وذلك راجع إلى عدم تنظيم هذه المصايد واستغلالها بالطرق الحديثة كما صنعت بعض الشركات الأجنبية التى تولت استغلال المصايد المصرية . وما تزال وسائل الصيد الأولية هى الغالبة فى استغلال المصريين .

فيجب أن تجد هذه الصناعة ما يناسبها من العناية فلقد كانت بعض الشركات الأجنبية تكسب فى العام نحو نصف مليون من الجنيهات من هذه الصناعة ، ويمكن مضاعفة هذا المبلغ إذا عنينا بجميع المصايد و إذا استغلها المصريون بدل الشركات الأجنبية ومعظمها كان من الطليان .

على أن صناعة الصيد ليست هى الصناعه الوحيدة ، فهناك صناعات كثيرة تنشأ حول المصايد ، كصناعة الأزرار الصدفية من عظام الأسماك وصناعة الأسماك المحفوظة التى كنا نستوردها بألوف الجنيهات .

وكل هذا يستغرق ألوفا من الأيادى العاملة ، ويفتح ألوفا من أبواب الرزق التى توصد فى وجوه المصريين ، وتتفتح للأجانب فيثرون فى سنوات معدودات ونحن غافلون !

وأما الطيور فعددها قليل جدا بالقياس إلى مايجب أن يكون فى مصر ، وتبعا لهذا كان عدد البيض قليلا كذلك ومرتفع الثمن نسبيا ، ولحوم الطيور وبيضها من الأغذية الجيدة المفيدة .

فيجب أن نعنى أولا بكثرة التفريخ ، وثانيا بجودة الأنواع ، وثالثا بقدرتها على الإنتاج فهناك أنواع من الدجاج تبيض الواحدة منها نحو مائتى بيضة فى العام من نوع جيد كفراخ " البجهورن " مثلا وهى تعيش فى مصر . وهناك أنواع تنتج كمية ضخمة من اللحوم

كالنوع المسمى " بالهندى " فيحسن أن نكثر من هـذه الأنواع الممتازة التى تصبح مورد رزق لصغار الفلاحين ومادة غذاء للمستهلكين جميعا .

ومثل هـذا يقال عن الأرانب ، وقد شاهدت فى إحدى المعارض أنواعا يزن الواحد منها نحو خمسة عشر رطلا ، ويلد فى العـام مرتين أو ثلاثا . فهذه الأنواع يجب تكثيرها ولو بتوزيعها بالمجان أو بأثمان قليلة على الفلاحين الفقراء الذين يزيد تنميـة مواردهم الضئيلة بوسائل مناسبة لبيئتهم .

* * *

إن أمامنا وسائل كثيرة تبدو فى ظاهرها صغيرة أو قليلة الأهمية ، ولكنها ذات أثر كبير فى تنميـة الثروة القومية العامة ، وفى رفع مستوى حياة الفقراء خاصة ، فالبيت الريفى الذى تقطنه بقرة أو زوج من الغنم أو المـاعز ، أو عدد من الطيور والأرانب ، هو بيت يمكن أن يتمتع برخاء نسبى وتغذية مناسبة ، ويشارك فى الوقت ذاته فى تنميـة الثروة العامة للبلاد .

وإذا كنا سننتظر المشروعات الاقتصادية الكبرى لرفع المستوى الشعبى فإننـا ننتظر طويلا ولا شك ، ولكننا نستطيع أن نأخذ بأصغر المشروعات وأقلها ضخامة وضجة فتدر فى مجموعها ما لا تدره المشروعات الضخمة المحتاجة إلى الزمن الطويل والمـال الكثير .

والأثرياء وأصحاب الضياع الواسـعة يمكن أن يكونوا قدوة لصغار الفلاحين فى حسن استغلال الثروة الحيوانية. فهم يستطيعون بلا مشقة أن يستخدموا الآلات بدل الحيوانات، ويستطيعون أن يستغلوا الألبان والأصواف استغلالا منظما على الطرق الحديثـة وبذلك يزيدون ثروتهم ، ويكونون قدوة لسواهم .

ولو أن هؤلاء الأثرياء استحضروا بعض الآلات الزراعيـة ليستخدموها فى أراضيهم ويؤجروها لصغار الزراع بأجر مناسب لأقبل هؤلاء على الانتفاع بها ، كما أقبلوا من قبل على المطاحن التجارية فى الريف بعد أن كانوا يستخدمون الحيوانات فى عملية الطحن .

والتعاون كما قلنا خير وسيلة للتقدم فى استخدام الآلات . وتستطيع السلطات أن تفرضه فرضا فى بعض الحالات اذا رأت أن تركه اختياريا لا يفيد، فالمصلحة العامة حينئذ خير من أهواء الأفراد الجهلاء .

الشباب المصري

بين حقائق الحاضر وأحلام المستقبل

للأستاذ صلاح الدين الشريف المحامى

الشباب ! ...

أية لفظة حلوة الرنين أخاذة النغم ، تموج فى قلوبنا موج السحر ، وتختلج لها أفئدتنا وجوارحنا اختلاجة الرجاء والفرح ، كلما عطفنا الحديث نحو الشباب ، أو مالت بالكهول عاطفة التصابى إلى أحاديث القلب ونفثات الوجدان . إنها حُمَيَّا الشباب تلهبنا بسعار من قوى الحياة الدفاقة بالحياة والأمل ، فتبعثنا على أن نتنور طريقا للمنى والطموح والمجد ، موصولا بأفق وردى يفيض أبدا بالتفاؤل والعزم والحركة ، مشبعا أبدا بالعاطفة والحماسة والنجوى ، ذلك الأفق ، هو أفق الشباب .

فالشباب هو الحياة والاندفاع والوثبة ، هو القوى الخلاقة لأهداف الانسانية ومثل الحياة ، هو مرآة مجلوة براقة تعكس للحاضر والمستقبل صور القلب الفتى والغريزة المشبوبة ، وهو بعد الوسط الذهبى بين الحلم المسرف فى خياله ، والواقع المذل بوجوده وإيمائه .

على أن الشباب فى اندفاعه وتوثبه ليس بأمن عثرة السن ، وهو فى فيض من حماسته اللاصقة بطبعه ، تلتوى عليه مسالك التجربة . وإذا كان يرنو حقا للحياة الراكضة المتطورة فما أجدره أن يكون رمزها الحى المهذب ، وفضيلتها المطبوعة على براءة الهوى والغرض .

ولكى تكمل أوصافه هذه ، ويحقق غاية الحياة فيه ، لا مهرب له من أن يربأ بنفسه عن كبرياء الجموح والدفعة ، فيحذر غرور المغالاة فى كل ما يزينه له خياله الوثاب ، حتى لا يشوه عليه رسالته ، أو يرجع به القهقرى ليصدمه فى إيمانه بنفسه وثقته بصوابه فى كل ما يعتقده ويراه .

لا بد للشباب من أن يكون وثابا ، ولكن فى وداعة وحكمة فيهتدى وحرام عليه أن لا يجعل النهوض غايته ، ولكن فى هدوء واستقرار فينجح ، وأقمن به أن يكون على مثالية محلقة تصور له مذاهبه ومبادئه ، ولكن فى ثقة وإيمان فيفلح . أما اندفاع الاضطراب

والترق ، أما وشبة القلق والحيرة ، فهى ضلال لهدفه ، وطمس لمثله ، وبعثرة لقواه ، وتشكيك لإيمانه فى قيمتى الصبر والوقت .

والحق أن توفيق الشباب وتفاؤله واستقراره كما أن إخفاقه وحيرته وضلاله ، لا شك راجع الى حالة بيئاته التى يتعلق فيها ويتكوّن ، الى حالة المنزل والمدرسة والمجتمع ، فكل منها له توجيهه وأثره ، ولكل منها أسلوبه وطابعه ، وهو طابع تتكيف به الحياة التى يحياها وتظهر به حالة مجتمعه وعصره مكشوفة عارية أمام عينيه .

أما المنزل ، فماذا أقول عن حالته عندنا ؟ أترضينا تلك الروح المتفككة المستهترة ، التى تعبث بحرمته وهو خلية المجتمع ؟ أم لا يلج بنا الأسف عندما نفتقد رباط التضامن الذى يجمع بين أفراده ويؤلف بين رب البيت وأبنائه ، فلا نجده ولا نرى له من أثر ؟ أو نسينا أن هذه البيئة هى معمل الإيجاد ومصنع الخلق ، هى التى تمد الدولة بأبنائها وحماتها ، وتهب الأمة نساءها ورجالها ؟

أصدقونى القول بربكم ! هل شممتم بين جمهور الآباء عندنا من يعرف للأبناء حق الحياة ، الحياة الفرحة الفياضة بالأخاء والود ، يتبادلون فيها أجمل مشاعر الأبوة والبنوة ، وهى بلسم الحياة وإكسير العمر . إنك لن تجد فى هؤلاء الآباء غير أحد رجلين ، إما رجل غلب على طبعه التصنع المقوت والتكلف المسرف فى كل شىء ، فوضع حواجز اتركز وفوارق السن حائلا بينه وبين أبنائه ، فلا يرضى تفاهما معهم ولا يزن لهم رأيا ، ولكم يلج فى تكلفه وتصنعه ، حتى ليسبح فى واد غير واديهم وحياة غير حياتهم ، فيفقد البيت انسجامه ، وتتداول الحياة فيه معركة صامتة مكبوتة ، بين حفاظ متصنع يبغى الكبت والضغط ، وتوثب فتى يريد الفكاك من أسر الجمود والضغط ، وبهذا الوضع المعكوس وبهذه العقلية المنتكسة يفقد البيت تآلفه وانسجامه ، ويفقد الآباء والأبناء مشاعر التعاطف والتفاهم بينهم . ومن هنا تنشأ تجارب التربية ، ومن هنا تتألف عناصر المأساة الى تروع الأسرة ، وتمثل لها فى تمرد الأبناء ، وإخفاقهم وضلال مسلكهم .

أما الصنف الثانى ، أما الطراز الآخر من الآباء ، فهو على نقيض الفريق الأول ، وله طابع يغاير ما طبع عليه مبالغة فى اللين والضعف ، ماذا أقول ، بل فى الاستخذاء الذى ينافى حزم الرجولة والتراجع الذى يهدم معنى السيطرة . وأقصد بالسيطرة حق الهيمنة الذى للأب على شؤون بيته صغيرها وكبيرها ، يصدر فى ذلك عن إحساس بالمسئولية وتقدير لخطورة الدور الذى يمثله فى الحياة ، فهى إذن سيطرة رشيدة حازمة لا تعرف فى الأخذ بحقها طغيانا ولا إسرافا .

لم يبق إذن غير حل وسط أو منزلة بين منزلتين، فلا إسراف فى الضغط والقسوة ولا مبالغة فى اللين والضعف .

وما أجمل أن يرى الأب فى أبنائه أصدقاءه وخلانه ، يجرب معهم معانى الصداقة الحقة ، صداقة النصح والثقة والصراحة ، لاصداقة التكلف والخداع والتغرير . صداقة التفاهم والاحترام والمحبة ، لاصداقة الرياء والتملق والغرض. بهذه الصداقة التى يعتمد الأب الحكيم أواصرها مع أبنائه ، يتآزر معهم على تخليقهم وتوجيههم على إشعارهم معنى الرجولة رجولة المسئوليات والتضحيات وحمل الأعباء ، رجولة تمهم لنفسها حقها وللأسرة التى خلقها حقها ، وللوطن مربتهما جميعا ، حقه بل ضريبته .

ولكن هذا الحلم ، بل هذه المعجزة ، كيف نحققها ونمهد لظهورها السبيل . سبيلها هو الآباء ووسيلتها هى الآباء والمعين عليها هم الآباء . ثم يأتى بعدهم أساتذة معاهدهم العلمية ثم سياسيو الأمة وقادتها .

لا مفر للأب من أن يكون قدوة لابنه وأسوة ، عليه أن يصنع من نفسه النموذج الحى الكامل أو الشبيه بالكامل ، عليه أن ينأى عن كل ما يهبط به فى محضر من أولاده، فالآباء هم الأهداف التى تتجه اليها أنظار الأبناء فى مراحل تكوينهم الأولى ، وهذه المراحل هى من البناء بمثابة الأساس ، واذا رأيتم شبابا قد غلبت عليهم نزواتهم وضلوا عن سبيلهم ، فلا تسارعوا بصب جام السخط والغضب عليهم وحدهم ، بل فتشوا عن حال الآباء وسياسة الآباء وعقلية الآباء ، تعرفوا السبب وبئس منكم العجب ، أنا لا أتصور أن رجلا يقضى كل أوقات الفراغ فى مقهى عام أو فى أى مكان آخر ، بعيدا عن بيئته وأسرته ، لا يعرف من حالهم وأمورهم أكثر مما يعرفه أجنبى عن الأسرة ، أى والله أجنبى عنها ، كأن الأمر لا يعنيه هو بل يعنى شخصا غيره ، لا أفهم منه ولا من مثله أن يخرج للأمة رجالا أو يبنى للمجتمع أسرة ، إن أوقات هذه المقاهى لأحق بها بيته ، لأولى بها أبناؤه ، وكم يخجلنى أن أقول إن الغربى يعطينا فى هذه الناحية أجمل الأمثال ، فلكم كونت أحاديث المدفأة وتلك المشاركات الوجدانية والعقلية التى وجدت جوها النقى فى حجرات الجلوس ، رجالا وأبطالا ساسوا الأمم وقادوا الجيوش أولئك رجال قدروا معنى الأسرة، بل قدروا الأبوة قدرها، ومثلوا بصدق دورها .

أما المدرسة عندنا ، فهى لا تقل عن الأسرة أثرا فى توجيه الشباب ، غير أن التوجيه السليم ما زال يعوزها ، إذ لا بد لها أن تكون قطعة نابضة من الحياة ، صورة مصغرة من المجتمع ، مصنعا مكتمل العدة ليهذب ما فات الأسرة أن تهذبه ، و يصلح من وجهة الفن، ما فوق مقدور الآباء ذوى الثقافة المحدودة أن يصلحوه .

انى لا أنكر أن برامج الدراسة فى المدرسة والجامعة قد تهذبت كثيرا عن ذى قبل غير أنه يؤسفنى أن عناصر التربية الاستقلالية لم تتحقق فى برامجها بعد . نحن لا نريد نسخا مكررة من كتب عندنا من أسلافنا الكثير ، لا نريد صورا مقلدة وآلات حاكية لا تعرف غير أن تحرك بوحى من غيرها وضغط ممن يملكون السيطرة عليها ، بل نريد مع التوجيه الرشيد والتثقيف الدسم ، دربة عملية واسعة على فهم الحق والواجب . فلباب الثقافة الحقة هو الذى يغرس فى النفس المثل ثم يحفز العقل الى أن يهتدى الى طريقة تحقيق المثل . وهنا يلعب التلقين وتلعب القدوة دورا لا يقل عن دور الاب فى الاسرة .

يجب أن تنصرف قواعد التربية عندنا الى خلق هذه القدوة الملقنة ، بل هذه الأسوة الصادقة فى إحائها المتحمسة فى تأدية رسالتها ، لنهدى بها دولة الاخلاق والعلم ، و يؤسفنى أن أقول ، إن كلاهما ما زال فى دور التكون عندنا لكننا اذا حققنا هذا ، وسنحققه فسوف يكون لشبابنا من علمه وعمله مايحقق للوطن مكانه اللائق به فى محيط الثقافه العاليه والتضامن العالمى .

إننى لو أجملت واجبات الشاب المصرى ، لحصرتها فى ثلاثة ، أولها وجدانى محض شخصى ، وثانيها وثالثها اجتماعى .

فأما الواجب الوجدانى أو إن شئنا المعنوى ، فهو أن يؤمن الشاب بمقدسات ومثل يهتدى بها إلى معنى الحياة ، معنى الوجود فى مجتمع . وأى قداسة أقدس من محبة الوطن بل أى حق أروع أو أجمل من حق الوطن على شبابه وأبنائه ، إن هذه الأمم التى تتصارع حولنا فى معركة الحياة والموت وتضرب لنا أعلى الأمثال فى بذلها وفدائها لأوطانها ، توحى إلينا كيف فهم أبناؤها حق الوطن المفدى الذى تقاضاه منهم مهجا ودماء فى أوقات الحروب وعقولا وعزائم وأعمالا فى أزمنة السلم ، ولن يقل شبابنا عن هؤلاء إيمانا بحق الوطن عليه فى كلا الحرب والسلم . ولعل أجل خدمة يؤديها إليه أن يصدق فى كل علم يحصله وفى كل عمل يأتيه وفى كل قول يأخذ النفس به ، فانما الأوطان بأخلاق وأعمال ولم تقم الأوطان يوما على أوهام وأقوال .

أما الواجب الشخصى فهو أن يعرف بحق أن لبدنه عليه حقا . فلا يهدر قوى جسمه وعقله ، وليحذر تلك النزعة المريضة لل النكسة المتهوسة ، التى تصور له فترة الشباب فترة للتعة والاستباحة والهوى الآثم والسدور فى قضاء اللبانات . فلكم حطمت تلك النزعة من أجسام زاهرة ، ولكم أطفأت من عقول فتية ، ولكم أوقعت الشباب أسرى عاداتٍ مستقبحة و كبلته بقيود الرذائل والآثام ، فتحللت معنو يته وتصاغرت طموحاته واستخذى لسلطان الشهوات .

إن واجبنا جميعا أنّ نساعد الشباب على أن ينتج أقصى ما يمكن له إنتاجه ، بأن نسهل له الوصول الى حالة جسمية كاملة . علينا أن نتخذ من الألعاب الرياضية دعامة من أرسخ الدعامات التى نمتربها المدرسة فى سبيل التربية الصادقة ، وأن نعنى بها ، لا كمادة ثانوية أو سبب للهو وتزجية أوقات الفراغ ، بل كغاية رئيسية ووسيلة مثلى تصل التربية الحقة بأهدافها وأغراضها ، تلك التربية التى تعلم الشباب كيف يتحمل المصاعب ويتقبل صدمات الحياة ، دون تذمر أو شكوى ، ودون تراجع أو استرخاء .

ويبقى عليه الواجب الاجتماعى ، واجب المساهمة فى تحصيل الخير للمجتمع وأفراد المجتمع فعلى الشاب أن يشعر بأن فرديته لا تغنيه ولا تجديه اذا انزوى عن الحياة وآثر الاعتزال ، فالعزلة مفزع الضعيف وملجأ الشخصية المريضة المتحللة التى تمثل الشلل فى جسم الحياة . عليه أن يساهم بقواه فى شتى مناحى الحياة فى أمته ، فيأخذ بيد التوجيهات الاجتماعية المتعددة ، من حرب للأمية ومقاومة للأمراض الجسمية والخلقية ، وتحطيم لأصنام البدع والضلالات . وفى هدى هذه الواجبات الثلاثة ، يعرف الشباب كيف يقضى أوقات فراغه . وأوقات الفراغ مشكلة المشاكل فى تربية الشباب . . .

أما بعد ، فلتفكروا يا قادة الأمة و يا ولاة أمورها و يا آباء الأبناء و يا أساتذة الطلبة ، فكروا جميعا فى شباب مصر ، وتبينوا نجواهم واستشعروا آمالهم ، وتساندوا جميعا فى رعاية الشباب ، ولتكونوا منه أساتذة متفقين وجنودا عاملين لخدمة الوطن .

صلاح الدين الشريف

المحامى

أقوال مأثورة

لاعب ابنك سبعا ، وأدبه سبعا ، وصاحبه سبعا ، ثم اترك حبله على غاربه .

التوفيق خير قائد ، ، وحسن الخلق خير قرين ، والوحدة خير من قرين السوء .

الأسرة السعيدة

بقلم الكاتبة

زينب محمد حسين

لم تزل أغلب أسراتنا المصرية المثقفة رغم تقدمها الظاهر ورقى مستواها تفتقر إلى الإلمام ببعض النقط الجوهرية الحساسة التى تجعل سعادتها دائمة بدوام وجودها .

فكثيرا ما نسمع أو نقرأ عن سيدات قد فقدن بمرور الزمن محبة أزواجهن لهن ، وإلحاحهن فى التساؤل عما يفعلنه لاستعادة سعادتهن الزائلة . أو عن رجال يشكون نفس الشكوى .

وقد نرى زوجين فى مستهل حياتهما الزوجية وفى غمرة سعادتهما قد ركبهما الوهم ، وتسلط عليهما شيطان الوساوس ، فهما فى خوف دائم وقلق مستمر ، يتوقعان الشقاء . فيكون هذا الشك نفسه عاملا قويا فى تقويض سعادتهما وفشل شركتهما من حيث لا يدريان .

ومن تلك الأسباب وغيرها وجب علينا أن نبحث فى علة تلك العوامل التى تسبب فشل معظم حالات الزواج الموفق كى نحقق وجود الأسرة السعيدة التى هى ألزم ما تكون للأمم .

ورغم كل تلك العقبات التى يتوهمها المرء فى الحصول على السعادة الزوجية ، فالسعادة قد تكون فى متناول كل من يريدها ، إذا أمكنه أن يعرف حقائقها ومسبباتها ، فيلم بتلك المسببات ويبتعد عما يشوه تلك الحقائق .

فأول ما يجب أن تأخذ به الأسرة السعيدة هو الهدوء المنزلى . ولو أننا لمسنا ما للهدوء المنزلى من أثر فعال فى حياة الأسرة ، لأدركنا قيمته الجوهرية بالنسبة إليها .

فمما لا شك فيه أن للجو الهادئ سحرا عجيبا يؤثر فى النفس الحساسة ويبعث إليها الراحة والاطمئنان ، ويجعل صاحبها رقيقا ميالا إلى الدعة والمسالمة حتى وإن كان خشن الطبع عصبى المزاج .

وقد أجمع علماء النفس على أن الجو الهادئ والموسيقى هما أعظم علاج لذوى الأعصاب الثائرة ، وهذه نظرية واضحة لا تحتاج إلى ما يثبتها . فالأعصاب الثائرة إما أن تكون لشخص مريض النفس أو مريض الجسد ، فمريض النفس قد ورث حالته النفسية من الوسط الذى نشأ فى محيطه ، فإذا كان قد شب فى وسط صاخب ملىء بالضوضاء ، أو بين

أبوين ميالين للنزاع والثورات المنزلية فهو ولا شك متخلق بأخلاقهما بحكم احتكاكه الدائم بهما ، ومحاكاته لهما إبان طفولتـه ، فتضطرب أعصابه بحكم تلك المؤثرات التربوية . وإذا كان قد نشأ فى بيت ملىء بالمآسى والأحزان ، فهو دائما منقبض النفس حزين الفؤاد . ولا حاجة بنا إلى القول بأن مثل هـذا الشخص فى أشد حاجة الى الجو الهادئ الذى يتمثل فى محيط الأسرة ، وكذلك فى رؤية المناظر الطبيعية الساحرة وسماع الموسيقى الهادئة ، لأن أى صخب من شأنه أن يحطم ما بقى من قوة أعصابه المضطربة .

وكذلك مريض الجسد الذى يشكو مرضا داخليا كضعف القلب وفقر الدم واضطراب المعدة ، وبنوع خاص ذوو الرئة الذين يجعلهم المرض يتنفسون بضيق . فتثيرهم أبسط الحركات وتزيد من علتهم ، فيؤثر المرض الجسدى على النفسى وتتأثر بذلك الأعصاب .

ومن ذلك يتبين لنا ما للهدوء المنزلى من عظيم الفائدة فى جو الأسرة .

وليس الهدوء المنزلى معناه أن يسود المنزل سكون مخيف فيبدو رهيبا كالقبور ؛ ولكنه تلك السكينة الرقيقة البعيدة عن كل ما يثير الأعصاب . وتلك اليقظة الحالمة التى تشمل جو المنزل فتكاد تلمسها فى انسجام ألوان الأثاث وحسن تنسيقه ، وفى أناقة الزوجة ورقة أحاديثها وتمازج ألوان ثيابها ، وفى هدوء الأطفال ووداعتهم ونظافة الخدم ونشاطهم وفى روح التآلف والترابط بين جميع أفراد الأسرة والتعاون بينهم .

ولا يمكن أن يتوافر ذلك فى المنزل إلا إذا كانت ربته من ذوات الذوق الفنى فيمكنها أن تخلع على منزلها من ذوقها أجمل الورود وأقربها إلى إعجاب زوجها ومحبته ، فيبدو منزلها مزدهرا فى هدوء ، أنيقا فى رقة حتى وإن كان متواضعا قليل الأثاث .

ويمكننا أن ندرك ما للمنزل الهادئ الأنيق من أثر فى النفس إذا ما سألنا أنفسنا عن السر فى شعورنا بالارتياح والاطمئنان إذا دخلنا منزلا ، ونفورنا واشمئزازنا من منزل آخر ولو كان ذلك الأخير قد حوى من صنوف الترف والبذخ ألوانا .

إن هذا التفاوت نفسه خير برهان على شدة حاجتنا إلى الهدوء المنزلى الذى يخلقه الذوق فى البيت السعيد .

وإن كنا قد تكلمنا عن الهدوء المنزلى بكل هـذا الإسهاب فيجب ألا نغفل عن ذكر عامل آخر يماثله من حيث الأهمية وهو كيفية استغلال أوقات الفراغ .

فنحن حتى الآن لم ننجح تقريبا فى استغلال أوقات فراغنا ، مع أن الغربيين قد وصلوا فى ذلك إلى أبعد حدود النجاح . فهم يقدسون يوم (الويك إند) ويتخايرونه بلهفة وشوق

حتى إذا ما حل ذلك اليوم خرجوا جميعا لاستقباله ، فيهرع بعضهم إلى الريف حيث الطبيعة فى أجمل حللها ، حاملين ماخف حمله من مأكولات وآلات موسيقية ، ويمضونه يوما جميلا بين مرح ورقص وغناء .. ملقين عن كواهلهم أعباء الحياة ومظاهرها الكاذبة ، فيستعيدون بذلك الأمل والنشاط إلى نفوسهم ، فاذا جاء الأسبوع الجديد استقبلوه بروح نشيطة ، ونفس متوثبة ، ووجوه عامرة بالبشر والسعادة .

وليست هذه هى الوسيلة الوحيدة لقضاء عطلة نهاية الأسبوع عندهم ، فهم أيضا يذهبون إلى المسارح ودور الكتب والأندية الرياضية وغيرها من مختلف المسليات التى تجمع إلى جانب اللهو البرىء الفائدة العظيمة .

وكثيرا ما يكون لأوقات الفراغ أثر فعال فى مستقبل الأفراد أيضا ، فكم من رجال صاروا نوابغ بفضل انكبابهم على تلقى العلم والتحصيل فى تلك الأوقات .

ومن عظماء الرجال الذين ارتفعوا إلى المكانة السامية التى نحلهم إياها بفضل استغلال أوقات الفراغ " توم اديسون " مخترع التلغراف . . فانه لم يكن قبل أن يحصل على مكانته المعروفة سوى بائع جرائد فى القطارات ، ومع ذلك فانه كان يستغل أوقات فراغه و يعكف على آلاته المخبأة فى قبو منزله الصغير ، يجرى عليها أبحاثه وتجاربه حتى أمكنه أن يقوم بهذا الاختراع العظيم الذى أسعد العالم أجمع .

فأوقات الفراغ اذن هى خير فرصة يجب أن نستغلها لفائدتنا والترويح عن أجسادنا وأعصابنا المتعبة ، وأيضا لزيادة ثقافتنا وتنمية مواهبنا ، تلك المواهب التى تعيننا دائما على اختيار طريقنا الصحيح فى الحياة . والزوج والزوجة فى ذلك سيان لأن الزوجة أيضا لا يجوز أن تضع حدا لثقافتها بمجرد زواجها ، بل قد يكون الزواج من أكبر البواعث التى تدفعها إلى استزادة ثقافتها لأنها قد أصبحت تشترك فى إعداد المستقبل لا لأسرتها فقط ، بل للوطن بأسره . وهذه المهمة تتطلب منها مجهودا يحتاج إلى معرفة وثقافة أوسع مما كانت عليه قبل الزواج ، حتى يمكنها أن تساير التطور العالمى ، وتدرك مدى تقدم الأمم ، وحتى يجد فيها زوجها شريكا محترما يتبادل و إياه أوجه الرأى فيما يعن لهما من أمور .

كذلك يمكنها أن تستغل أوقات فراغها فى تعلم الموسيقى لما لها من أثر فى تهذيب الشعور والسمو بالنفوس ولما تخلقه فى جو المنزل من سحر مقرون بالسرور ، كما تتعلم التطريز والخياطة وتلم بتدبير المنزل إلماما حقيقيا غير مكتفية بمجرد الاشراف على الخدم ، فتكون بذلك قد أضافت إلى ثقافة فتاة المدارس معرفة سيدات المنازل ، تلك المعرفة التى لابد لكل سيدة

تريد المحافظة على سعادتها من الأخذ بها ، فالزوجة بانتقالها إلى منزل الزوجية لم تعد بعد تلك الفتاة المدللة التى تنتظر دائما رعاية أبويها ... بل هى الآن ربة منزل ، وربة المنزل لا بد أن تكون كاملة فى معرفتها ، كاملة فى قوة أخلاقها ، كاملة فى كل ما يتطلبه منها منزلها من رعاية ومسؤوليات .

ومن العوامل المهمة أيضا فى سعادة الأسرة تبادل الاخلاص بين الزوجين وعدم الالتجاء إلى رذيلة الكذب .

فالكذب ولو كان لغرض نافع كثيرا ما يؤدى إلى خلق المشاكل ، وانعدام الثقة فى جو الأسرة ، ومتى انعدمت الثقة فى جو الأسرة لا يمكن أن تسير سفينتها بسلام مهما حاول الزوجان ذلك .

وعلى ذلك يجب أن تكون حياتهما كصفحة نقية فى كتاب مشترك ، فينعما دائما فى جو من الصراحة والإخلاص يجعل كلا منهما رضى النفس مرتاح الضمير فتتحقق لهما السعادة التامة .

ولا يفوتنى قبل أن انتهى من هذا البحث أن أعرض لفوائد الاقتصاد وأثره فى سعادة الأسرة ، فالأسرة الاقتصادية يمكنها أن تحيا حياة منظمة بعيدة عن الارتباكات المالية وما يتبعها . ولو أن كل اسرة استطاعت أن تنظم ماليتها وترسم ميزانيتها على أساس إيرادها ، ووازنت بين الايراد والنفقات ؛ وقدرت حاجتها الاستهلاكية وأعدت لكل شىء عدته ؛ لما طرق بابها يوما ضيق ولا عوز .

وكم تحسن ربة البيت صنعا لو ادخرت قدراً من النقود كل شهر لطفلها الصغير لتنتفع به فى الإنفاق عليه فى مختلف مراحل التعليم . وإذا كبر وأتم تعليمه ولم تكن هناك حاجة الى مس ذلك المبلغ أمكنه أن يستعين به فى شق طريقه إلى الحياة العملية إذا ما دعت الحاجة إلى ذلك .

ويقيني أن الأسر لا تتم سعادتها إلا بوجود السيدة المدبرة العاقلة التى تتوقع كل شىء وتعد العدة لمواجهة أحداث الزمان ، وهذا شىء ضرورى فى حياة الأسرة السعيدة .

وكذلك يمكن لربة البيت أن تقتصد شيئا من المال لتجديد أثاث بيتها حتى يبدو دائما فى حلة جديدة زاهية فيدخل البهجة على قلوب كل من يراه .

وأختتم هذا المقال بنصيحة هامة لكل من الزوجين اللذين ينشدان السعادة الدائمة فى حياتهما ، وهى أن يحترم كل منهما عائلة الآخر ، فيعتبرا أنفسهما أسرة واحدة يربطهما رباط مقدس هو أقوى من رباط القرابة . فلا يدعان محبتهما تشوهها الشكوك وتعصف بها

الأوهام خصوصا من جهة (الحماة) التى يكاد يعتبرها الكثيرون آفة اجتماعية يجب القضاء عليها ... ولست أشك لحظة فى أن تلك الاعتقادات الخاطئة ليست إلا مفتريات تولدها تلك الدعاية السيئة التى يلجأ إليها بعض الناس فى أقاويلهم ، وتتخذها المجلات مادة للفكاهة والتهريج . ومع أنها فكاهة رخيصة تافهة إلا أنها فى الواقع من الخطورة بحيث لا يصح أن نستهين بها ... إذ أنها تعلق فى مخيلة النشء، حتى إذا ماشبوا وصاروا على أهبة الزواج تمثلت أمامهم تلك الصورة القديمة وصاروا يرون فى حماتهم رسول الشر فى المنزل حتى و إن كانت كل الحقائق تكذب ذلك .

ومن هذا وجب على الأسرة الحديثة بصفتها نواة الجيل أن تنظر إلى مثل هذه الأمور بالعين المجردة البعيدة عن التشويه والمغالطات ، وإلا فما فائدة المعرفة إن لم تكن لسمو النفس وتنقيتها مما علق بها من أدران الجهل الذى كثيرا ما سبب بمشاكله الشقاء والفشل؟

هذا قليل من كثير مما يجب على الأسرة أن تعمل به . ولعلى أكون فى هذا المقال قد ساهمت بتقديم بعض النصائح الزوجية لكل من يرغب فى الحياة المستقرة الموفقة التى لا بد وأن يكتشف حقائقها الكثيرة كل من يحاول إسعاد نفسه و إسعاد أسرته .

زينب محمد حسين

من راعه سبب أو هاله عجب ... فلى ثمانون حولا لا أرى عجبا
الدهر كالدهر والأيام واحدة ... والناس كالناس والدنيا لمن غلبا

أبو العلاء المعرى

جولات فى معاهد الإصلاح

حيث يرعون المحرومين

بقلم الأستاذ محمد عبد الكريم

عرضنا فى مقالين سابقين لمشكلتى الأطفال المحرومين والفتيات المعوزات كأهم مشكلاتنا الاجتماعية وأجدر مسائلنا الاصلاحية بالعناية ، وقد بينا فيما ذكرنا مالإقامة دور الكفالة من أثر فى هذا السبيل ، ويسرنا أن نذكر أن لجنة أسبوع البر قد استقر رأيها على تخصيص ماجمع لإقامة دور لكفالة الفتاة والطفل ونوادى للصبيان . أما دور الكفالة فقد لمست البلد أثرها إذ وفقت رابطة الاصلاح الاجتماعى منذ عامين الى اقامة دارين للكفالة أحدهما للطفل والأخرى للفتاة وقد جلونا أمرهما فى العددين الدارين فيما كتبناه من قبل بهذه الصحيفة ، أما نوادى الصبيان فقد سبقت الى انشائها أربع جماعات :

الأولى : جمعية الشبان المسيحية وقد انشأت ناديا عند محطة كوبرى الليمون .

الثانية : لجنة الاحتفال بالزفاف الملكى وقد أقامت للاولاد ناديا آخر عند سفح التل بحى الجمالية يعرف بمؤسسة الزفاف الملكى .

الثالثة : جماعة الرواد فى المحلتين اللتين أقامتهما فى حيى الطيبى والقللى .

الرابعة : جمعية التعاون الاجتماعى وقد احتضنت المبرات الاجتماعية وتولت ادارة اثنتين منها فى بعض الأحياء ، وأوفى هذه المؤسسات بالغرض وأوسعها مجالا هى المبرات الاجتماعية لذلك رأينا وقد اتجهت النية إلى تعميم نوادى الصبيان أن نعرض لما تقوم عليه هذه المبرات وخاصة أن لجنة البر قد أبدت اهتمامها بأمرها ، وعقدت النية على معاونتها ، لنرى ما اسفرت عنه التجربة ومدى ما ينبغى أن يؤخذ به فى المشروع الذى أوشك أن يوضع موضع التنفيذ .

فى مبرة المحمدى :

هناك فى نهاية شارع الملكة نازلى جوار مستشفى الدمرداش يرى السائر بناء فسيح الجنبات متواضع الهيئات هو مبرة جماعة التعاون الاجتماعى بالمحمدى وهى إحدى المبرات الثلاث التى تولتها جمعية التعاون الاجتماعى .

بالفنادار المبرة فاستقبلنا مراقبها الفاضل وهو زميل قديم استهوته الخدمة الاجتماعية فاختص المحرومين بحى المحمدى بكل فراغه ، وما أسمى خدمة الباذلين يهواها شبابنا ويفيدون من فراغهم بموالاتها والانصراف لها .

كنا فى الرابعة بعد الظهر ، وكان فناء المبرة خاليا إلا من بضعة غلمان يجهزون الملعب فمنهم من يعنى بتخطيط الأرض ، ومنهم من انصرف لاعداد ملابس زملائه .

وقادنا الأستاذ المشرف الى حجرة الادارة حيث رأينا الأولاد يتوافدون على الدار ويتتابعون ، وهم غلمان بين التاسعة والرابعة عشرة حفاة الأقدام ، لا يميزهم عن نظرائهم من أبناء السبيل غير تلك النظافة التى تبين فى هندامهم ، وتتجلى فى وجوههم ، وغير تلك الروح الفنية المهذبة التى تنم بها أقوالهم وتكشف عنها حركاتهم وهى شاهد على العناية التى يلقونها بالمؤسسة .

فبين جدران هذا المكان يقضى الأولاد ثلاث ساعات كل مساء يلقون خلالها من العناية ما فيه إصلاح لنفوسهم ، وتنبيه لمداركهم ، وسلامة لأبدانهم ، وحسبنا أن نصور للقارئ منهاج العمل اليومى هناك لنبين القواعد التى تقوم عليها رسالة القائمين بهذا المشروع وما يصل اليه ذلك الصغير المحروم إذا ما وجد من يهتم به ويوجهه التوجيه الصالح .

كيف يعنون بالمحرومين :

نحن فى مدخل المبرة ، والأولاد يسجلون أسماءهم عند زميل لهم ، حافى القدمين مثلهم ، هذا عضو سجل اسمه ثم انتقل إلى بناء الحمام حيث يستبدل بملابسه الخاصة ملابس المبرة ، ثم ينطلق الى فنائها .

وينقسم الأولاد فى لعبهم الى أربع فرق تحمل أسماء الخلفاء الراشدين الذكرى والتيمن ، هذه فرقة عمر الفاروق وتلك فرقة أبى بكر ، وهناك فرقة على وفرقة عثمان ، ويشرف على كل فرقة رئيس يعاونه كاتم سر ينتخبهما الأولاد انتخابا حرا لا دخل لادارة المبرة فيه ، ويمارس الأولاد بالناى الذى لها مختلفة ، كل حسب سنه وقوته فهناك الألعاب السويدية وكرة السلة ورمى الحلقات ، وهناك الملاكمة للكبار ، وقد أدخلت هذه اللعبة لما شوهد من ميل الصبية الى التطاحن والتضارب تدفعهم الى ذلك غريزة حب المقاتلة ، ويشرف على الملعب متطوعان من خريجى معهد التربية البدنية ، وقد درجت المبرة على اقامة مباريات دورية بين الفرق تمنح الفرقة الفائزة فيها علما خاصا ، كما يمنح العضو المتفوق جائزة تختار عادة من الملابس لتكون أفيد للفقير وأنفع .

وتقوم الخدمة بالمبرة على الأولاد أنفسهم ، فتلك الفرق تتناول العمل من تنظيف الملعب ، واعداد أدواته وتنفيذ برامج الحفلات والاشراف على النظام .

وليست المبرة مجرد ندوة يختلف الأولاد اليها ليحدوا فى ملاعبها ملهاة لهم ومجالا لنشاطهم بل هى معهد يتلقون فيه ما يزيل أميتهم ويكافح بطالتهم ، ويداوى أسقامهم .

أما الأمية فتحارب بتلك الدروس التى يلقيها المشرف بقدر ما يتيسر له من وقت ، وأما صحة الأولاد فيعنى بها طبيبان يترددان على المبرة مرة كل أسبوع ، وأما البطالة فإن من أولى غايات المبرة مكافحتها ، وتيسير العمل لمن تعدوا سن الإلزام من أعضائها :

من آثار التوجيه الصالح :

اليوم الثلاثاء أحد يومى الاجتماع العام ، والأولاد ملتفون حول سارية العلم فى نظام بديع وقد أمسك كبيرهم بحبل السارية حتى اذا جذبه وارتفع اللواء عاليا انطلق الأولاد ينشدون تحية العلم فى أصوات عذبة تفيض حماسا وقوة .

وانك ليأخذك العجب وتعروك الدهشة حين ترى الى هؤلاء الذين كانوا بالامس يهيمون فى الحوارى ، ويتسكعون على أطوار الطرقات ، يتلقون فيها دروسا فى الفساد والاجرام ، تراهم اليوم وقد تبدل هندامهم وتهذبت حركاتهم يقفون وقفة رجل واحد حتى إذا صاح فيهم رائدهم ياشباب : ألفيت المكان يدوى بهتافاتهم .

لقد انتهى الأولاد من أناشيدهم ، وجلسوا الى السمر فى حلقة كبيرة يتوسطهم الأستاذ المشرف الذى مضى يقص عليهم قصصا فيها من أسباب الارشاد ما يوجههم الى النهج الصالح ويلزمهم جادة الخلق الكريم .

فاذا فرغ السمر انتهى الأولاد الى الحمامات ثم مضوا الى المطعم يتناولون عشاءهم الذى اعد لهم بارشاد معالى الدكتور عبد الواحد بك الوكيل فى تركيب يجمع كل العناصر المغذية ، ثم ينتهوا الى المسجد الذى اقامته المبرة لهم يؤدون فريضة العشاء .

ووقفت فى جمع يقرب من المائة غلام من تلك الطبقة التى كانت بالأمس اقرب الى الاجرام وأدنى من العصبة ، أتأمل كيف ساس بالمران قيادها ، وحسن بالتوجيه الصالح شأنها ، وما لهم لا يذكرون الله ويكبرونه وقد هيأ لهم من فضله من عوضهم عن بؤسهم فرجا ، وأتاح لهم فى ضيقهم مخرجا .

رجال . . . .

انفضل ياحسين ، متشكريا ابراهيم ، عال يا رجاله ... تلك هى العبارات التى تتجاوب بها جنبات المبرة ، وهذ هو الأسلوب الذى يخاطب به المشرفون على المؤسسة هؤلاء الصغار الحفاة ، ذوى الجلابيب المرقوقة والأردية المخرقة .

لقد أدرك القائمون بأمر المبرة أن اعزاز الصغير واشعاره بأنه انسان كغيره له شخصيته ، وله عزه وكرامته ، هو أقوى ما يحفزه إلى إصلاح نفسه واستكمال اسباب نقصه ، ولا غرو فهى الكرامة . . . الكرامة التى يرى فيها علماء النفس دعامة الشخصية وقوامها ، والتى ذهب بعض الفلاسفة امثال كانت إلى أنها الحافز على كل عمل مفيد للفرد ومصدر كل خير للجماعات .

رعاية المبرات للأسرات الفقيرة :

ولا يقصر القائمون بأمر المبرات جهودهم على رعاية الصغار فحسب بل تمتد خدماتهم الى الكبار من أباء الاولاد وغيرهم وتقوم هذه الخدمات فى نواح ثلاث :

الأولى : فى معونتهم المادية اذ تصرف كل يوم لحوالى مائة منهم وجبات كاملة من الخبز والخضر واللحم أو البقول وغيرها ، يحملونها فى أوعيتهم الى بيوتهم .

ولما كانت تذكية الشعور بالكرامة ومكافحة التسول والاستجداء هى غايات الجماعة الأساسية فقد عمدت الى تقاضى خمسة مايات من كل فقير لقاء تقديم هذه الوجبة الكاملة.

والثانية : فى تهيئة أسباب النظافة للفقراء فى المغاسل التى يضمها بناء المبرة ، فهناك ستون صنبورا بأحواضهم لغسيل الملابس كما أن هناك عشرات من الحمامات يستحم فيها الكبار فى أوقات خلوها من الصغار وقد جهز البناء بمحرك يعد الماء الساخن — ويصرف الصابون فى كل الحالات بغير ثمن .

وثالثة الخدمات التى تؤديها المبرات هى العمل على ارشاد اسرات الأولاد ورعاية شؤونهم فهى تبعث بالإخصائيين الاجتماعيين الى بيوت الفقـــراء لبحث أحوالهم وفض خلافاتهم وتدارك ما ينقصهم وتعقد المبرة فى كل أسبوع اجتماعا عاما يحضره جمع كبير من آباء الأولاد وأمهاتهم يستمعون فيه الى ما يعده لهم الأستاذ المشرف من نصح يوجههم وارشاد يفيدهم.

المبرات وفوائدها :

يقول الأستاذ برت Cyril Burt فى كتاب المذنب الصغير The Young Deliquant الا سبيل لتقويم الطفولة الجانحة بغير وسيلتين : تهيئة البيئة الصالحة من جانب وتيسير القوت للصغير من جانب آخر — وقد دعم الأستاذ بحثه باحصاء انتهى فيـه الى أن واحدا وثمانين فى المـائة من جرائم الصغار انما يدفع اليها الجوع ، وأن أكثر ما بقى يرجع الى حالة الازدحام المشاهدة فى المدن فتلك الأحياء المكتظة بساكنيها وهـذه البيوت التى تضيق بمن فيها من بنين يحشرون مع البنات فى سن تتفتح فيه براعم الفتـوة ، ويدب فى ابدان النشء دبيب اليقظة الجنسية كل أولئك يهيء للفساد بيئة خصيبة و يعد للجريمة جوا تفرخ فيه وتتكاثر ، والصغير الذى يستهويء الجريمة هو بغير شك أضر على المجتمع وأخطر ممن يذنب كبيرا واذا كان المشرعون ورجال الفكر فى اوروبا وامريكا قد أكثروا من الاشارة الى خطر اجرام الصغار فمما لا ريب فيه أننا أحق بالاستماع الى تلك النصيحة وترديدها وحسبنا أن نرجع فى هذا الى الاحصاء لنرى كيف يتردى فى هوة الاجرام كل عام جيش عرمرم من هؤلاء الصغار ، فقد ورد فى تقارير السجون أن عدد الاحداث الذين أدينوا تجاوز العشرة آلاف

فى الفترة ما بين عامى ١٩٢١ و ١٩٢٥ وأن السجون آوت من هؤلاء أربعة آلاف ونفذ الجلد فى خمسة آلاف وأن هذه الأرقام قد قفزت فى الفترة ما بين سنة ١٩٢٨ و ١٩٣٢ الى ما يربو عن الخمسة والأربعين ألفا .

يقول المثل الألمانى إن الزوجين لا يتشاجران ولكنه الفقر يتشاجر ، والمبرات التى يجد فيها الفقراء ندوات لأولادهم ، ومغاسل وحمامات ، ومطاعم لهم ولصغارهم ، ومعاهد ارشاد تنير عقولهم وتزيل أمية أولادهم ، هى بغير شك خير ما ينهض بالفقير و يرقى بحاله .

رأينا فيما تقدم أن المبرات تعنى بتنشئة الغلمان المحرومين تنشئة سليمة فهى :

(١) تعنى برياضة أجسامهم ونظافتها وسلامتها .

(٢) تمد الأولاد بالغذاء الصحى وتسهل لهم سبيل العمل كما تهتم بازالة أميتهم .

(٣) تهيئ لهم مجالا للنشاط الحر Free Activity يصرفهم عن النزوات التى يتعرضون لها فى بيئتهم الفاسدة .

(٤) ولعل خير ما يستند القائمون بأمر المبرات اهتمامهم بالناحية التربوية وأخذهم بأحدث أساليبها .

فهم كما رأينا يضعون بناء الشخصية هدفا لهم ، ولا نرانا بحاجة الى تكرار ما المعنا اليه من أثر تدعيم الشخصية فى بناء جيل صالح منتج وحسبنا أن نشير فى هذا الى ما قرره المؤتمر الدولى الخامس للتربية الاسرية الذى عقد فى بروكسل عام ١٩٣٥ والى ما ذكره ديوى وما كتبه روسل Russel فى تقويم الأطلنطيق الشهرى Atlantic Monthly وهما يصفان احترام الشخصية أساسا للنهوض بالنشء .

(٥) فاذا أضفنا الى ما تقدم ما يخلفه اجتماع الأولاد تحت لواء واحد وفى دائرة نظام يروضون أنفسهم على احترامه من تعويد لهم على حياة الجماعة Group Sprit وتوجيه صالح غرائزهم التى تحتاج فى تلك السن الى من يقودها اذا راعينا هذا كله وجدنا أننا حين نعنى بإقامة هذه المؤسسات انما نعد باقامتها معاهد ومعسكرات نخلق فيها من ذلك النشء المهدد بالفساد جيلا عاملا نافعا .

نريدها مبرات لا نوادى للصبيان :

إن الغاية التى تتجه اليها اللجنة التحضيرية لمشروعات أسبوع البر من اعداد نوادى تخلف اليها الصبيان من المشردين أو العاطلين أو أنصاف العاطلين كوسيلة للعناية بصحة الأولاد وملء فراغهم بما يفيدهم بدلا من اضاعة الوقت فى التشرد والتسكع فى الطرقات هى غاية ولا شك حميدة نبيلة ، ولكننا اذ وازنا السبيل الذى ترى اللجنة اقتفاءه بذلك المنهاج القويم الذى تقوم عليه المبرات الاجتماعية وجدنا أن من الخير اقامة مؤسسات الصبيان على ذات

الخطة التى تسير عليها المبرات الاجتماعية ولنا فى التمسك بالمبرات اسما وعملا حجتان : الأولى أن كلمة مبرة وهى مشتقة من البر الذى أعد له أسبوع البر أنسب من "النادى" الذى لا يفهم منه غير ندوة للهو ومكان لشغل الفراغ ، والثانية أن المبرات كما قدمنا تعالج مسألة الصغار علاجا كاملا فليس مجرد شغل وقت الأولاد هو كل ما يرمض بهم انما يتحقق الغرض حين يعمد المصلحون الى البيئة التى يأوى اليها الصغير فيعملون على رفع مستواها وتلافى ما هى عليه من نقص. وهذا ما تعنى به المبرات القائمة ، فهى كما رأينا تقدم للابناء معونة مادية بصرف الطعام لهم و بالعناية بنظافة ملابسهم فى مغاسلها وأجسامهم فى حماماتها و بارشادهم فى الاجتماعات التى تعدها لهم .

رب معترض يقول إن اللجنة قد توخت فيما ترسمت طاقتها وسعة ماليتها وعندنا أن لتدبير المال سبلا عدة .

الأولى : أن يحذف من الميزانية المقترحة للنوادى مرتبات المعلمين الخمسة الذين ترى اللجنة تعيينهم فى كل ناد وأن يكتفى بتكليف المدرسين الاراميين فى منطقة النادى باعطاء الدروس لقاء مكافأة لا تجاوز جنيها واحدا فى الشهر لكل معلم و بهذا يقتصد أربعة أخماس الاعتماد المقترح

الثانية : أن يسمح للجنة أسبوع البر ولجمعية المبرات الاجتماعية باصدار يانصيب ينفق ربحه على المبرات .

الثالثة : أن تقام حفلات مسرحية ورياضية يخصص إيرادها للمبرات وأن تعد بين وقت ووقت حفلة عشاء للصغير المحروم يحضرها القادرون من أهالى كل حى لتناول طعام رخيص مع الأولاد لقاء ما يجودون به من تبرعات .

وسوف يساعد لجنة أسبوع البر على تعميم معونتها لتشمل الآباء وغيرهم من الفقراء عوامل عدة منها أن إعداد الطعام للكبار لن يحملها على تعيين طاه خاص فسوف يقوم باعداده الطاهى ومساعده اللذان سيعدان طعام الأولاد .

وأنها ان تنشئ للآباء حمامات خاصة و إنما سيقتصر الأمر على السماح للكبار بارتياد الحمامات فى غير أوقات استحمام الصغار .

وأن المغاسل بعد إنشائها لن تتكلف غير ثمن الماء والوقود والصابون .

فإذا أضفنا الى ما تقدم ما يمكن للجنة أسبوع البر من معونة وزارة الصحة التى ترعى المجموعات الصحية وتنفق عليها المال الوفير ، رأينا أن إقامة نوادى الصبيان على غرار مبرات التعاون الاجتماعى وطبق منهاجها هو بلا ريب أدعى الى بلوغ الغرض المرجو وأقرب لتحقيق البر كاملا غير منقوص .

محمد عبد الكريم

أريد ١٠,٠٠٠ متطوع ومتطوعة
لمدينة القاهرة وحدها ! ! !

الخدمة الاجتماعية طابع العصر الحديث ، وقد اتسع مداها وزادت أهميتها بعد الحرب العظمى الماضية وما خلفته من بؤس وشقاء وفقر وأوبئة ومجاعات وأمراض . ثم فى هذه الحرب وما تجره من ويلات لجميع السكان .

والشباب هو العنصر الغالب فى القيام بهذه الخدمة ، لأن الشباب سن الفيض فى القوة والفضل فى العاطفة وهو فى موسم النهوض بالأعباء العامة ، قبل أن تتقدم السن ، وتنقص المقدرة ، وينزوى الفرد فى شئونه الخاصة وأعبائه الشخصية التى تزايد كلما تزايد العمر وتقدمت السنون .

وفى الشاب والشابة نشاط زائد ، ولديهما متسع من الوقت ، فإذا لم يجد هذا النشاط مجالا طيبا ينفق فيه ، انصرف إلى المجالات الفاسدة ، والفراغ والشباب حين يجتمعان تكون لهما دائما عواقبهما الوخيمة التى نص عليها الشاعر فى بيته القديم المشهور .

والخدمة الاجتماعية على اختلاف ضروبها وسيلة من خير الوسائل لانفاق النشاط وشغل الفراغ ، وهى وسيلة ميسرة لكل شاب ولكل فتاة ، وهى فضلا على أثرها الاجتماعى المطلوب — ترفع النفس وتجعل للحياة قيمة فى نظر المشتغلين بها ، وتلهمهم كثيرا من الفضائل التى لا يحس بها الفرد إلا حين يهتم بشئون المجتمع ويخرج من سجن الفردية البغيض .

وفى بلد كمصر يجد كل شاب وكل فتاة المجال واسعا لكل ضروب النشاط الاجتماعى ، فتعليم الأميين وإنقاذ المشردين ، ومعاونة المحتاجين ، ودراسة حال الأحياء الفقيرة ، وإرشاد الفقراء إلى وسائل لزيادة الدخل ، وإعداد الفتيات المشردات والفقيرات لحياة المجتمع ومعيشة البيت ، واستنقاذ المدمنين والغواة ... إلى عشرات من هذه الخدمات الاجتماعية كلها وسائل ميسورة لإرضاء النزعة الانسانية الخيرة ، وللقيام بالواجبات الاجتماعية المنوعة .

لدينا ألوف من الشبان والشابات يضيقون بالفراغ فهم دائما مشغولون بمعركة "قتل الوقت" يقتلونه ويقتلنه بالجلوس فى المقاهى وبالزيارات التى لاضرورة لها ، وبقراءة الوريقات الساقطة والمجلات الرخيصة والروايات التافهة ، وبالقيل والقال وتتبع أخبار الناس وبإيذاء خلق الله فى كثير من الأحيان .

وكل هذه مظاهر للفراغ وللنشاط الزائد والوقت المتسع . ولو وجد هذا النشاط منفذا إلى أعمال الخير لتقضى فيها ولأنتج نتائجه الطيبة !

ولدينا فى الوقت نفسه وفى القاهرة نفسها — لا فى الريف البعيد — مئات من الأحياء الفقيرة تصلح مزرعة تجريبية لجميع أنواع الخدمة الاجتماعية ، التى تشغل الغرائز ، وترفع النفس عن التفاهات وتستغرق الوقت الذى نقتله كل يوم فيما لا يفيد !

وكثيرا ما نشرت على صفحات هذه المجلة أوصاف لبعض هذه الأحياء تستدر الشفقة وتستنهض الهمم للخدمة ، وقد خطر لى قبيل عيد الأضحى الماضى أن أقوم بجولة شخصية فى حى من هذه الأحياء ، فإلى هؤلاء الشبان والفتيات أسوق بعض ماشاهدت بدون مبالغة — فما أنا فى حاجة إلى المبالغة والواقع وحده يكفى — لعل هذه الصور أن تحفزهم وتحفزهن إلى أداء الواجب المفروض ، الذى ينهض به الشباب فى بلاد العالم المتحضر ، بلا حث ولا توجيه .

خلف المسجد الحسينى وأبنية الجامعة الأزهرية الحديثة يقع حى يسمى "شارع الكفر" يدخل إليه الانسان من مدخل ضيق بشارع المعزلدين الله (الدراسة) . ومن هذا المدخل دخلت ومعى رفيق نجوس خلال هذا العالم المترامى الأطراف الذى يسمى " كفر الطماعين وكفر الزغارى . وحارة العطوف ..... " .

وما أحب أن أذكر تفصيلات مشاهداتنا فى خلال ساعتين كاملتين مررنا فيهما بالدروب الرئيسية إذ كان الدخول إلى الأزقة والعطفات الفرعية نوعا من المستحيل لمن يلبس حذاء وجوربا وبنطلونا لا بد من التضحية بها جميعا إذا خاطرنا فى هذه الأوحال والقاذورات المتعفنة والفضلات الانسانية والحيوانية التى تغوص بها الرجل — لا القدم وحدها — فى كل خطوة بالطريق .

اخترنا إذن أن نضحى بأحذيتنا دون الجوارب ودون البنطلون فتتبعنا الطرق الرئيسية فى هذا العالم المقفل المجهول . وفى هذه الطرق الرئيسية قضينا ساعتين فى المرور والطواف ، وكان ذلك يوم وقفة العيد .

هذه الطرقات الرئيسية من الطين وهى مرتفعة عن مداخل البيوت بنحو نصف متر ، فمعظم البيوت ذات عتبة يهبط منها الداخل نظرا لارتفاع الطريق . وعلى أبعاد قريبة فى هذه الطرقات يرى السائر بعض أكوام القمامة فضلا على الفضلات الحيوانية والإنسانية . ويرى المساعن والنعاج مربوطة فى الطريق ، ويرى عجائز الحى وبعض المقعدين والمكفوفين مسندين إلى الجدران القائمة فى الطريق كذلك ، ويرى الذباب والبعوض والصراصير والخنافس جميعها تمرح فى أو حول أكداس القمامة .

وسألنا : ألا تؤخذ هذه القمامة من هذه الطرقات ؟ وأجابنا السكان : كلا ! ومن يأخذها ؟ قلنا وأين تذهب إذن ؟ قالوا تبعثر فى الطريق وينزل عليها المطر فى الشتاء أو تصب عليها المياه المتخلفة من حياة البيوت (إذ لا توجد غالبا مراحيض ولا مجار عامة) ويدوس عليها المارة فتلتصق بالأرض وتصبح جزءا من قشرتها ... وهنا عرفنا سر ارتفاع الطرقات عن البيوت !

للبيوت دهاليز معتمة مرطوبة لا يتطرق إليها الهواء، وطبيعي ألا يتطرق إليها النور ولا منافذ لها مع ضيقها وطولها ، حتى تنتهي إلى الحجرات الأرضية المعتمة أو إلى الفناء بين هذه الحجرات .

في بعض هذه البيوت رأينا مصابيح البترول من ذوات الفتيل بلا زجاج مشعلة من الداخل — والوقت ظهر — ليستطيع السكان أن يبصروا أنفسهم ويقضوا شئونهم في داخل هذه الدهاليز والحجرات السحيقة !

وفي بعض هذه البيوت شاهدنا على ضوء تلك المصابيح الخانقة رجالا ونساء وأطفالا وهم جميعا عرايا ! — وليس في هذه اللفظة مجاز إنما هي الحقيقة — لقد كان العيد على الأبواب فخلع الأطفال والرجال والنساء ملابسهم لتغسل — وليس لها بطبيعة الحال بديل — فأما النساء فجلسن وأمامهن "الطشوت" يغسلن ، وقد سترن أوساطهن فقط بخرق صغيرة ، وأما الرجال فانطووا على أنفسهم وتستروا بانطوائهم ، وأما الأطفال فقد انطلقوا بلا حرج من العرى البريء !

وقد شاهدنا وشاهدنا مما لا أريد أن أوذي به شعور القراء ، وليس من غرضي نشره لمصمصة الشفاه عنه . وحين أردنا أن نتقصى شؤون هؤلاء الناس قالت لنا فتاة من الحي . " أنتم رجال ولا تستطيعون أن تدخلوا البيوت لمعرفة ما فيها ، فابعثوا فتيات وهن يستطعن الحصول على جميع المعلومات والمساعدة إذ كنتم تريدون بالمعرفة المساعدة " .

كانت فتاة يبدو عليها شيء من الثقافة ولولا أننا في حي بلدي لاتخذناها لنا دليلا ولسرنا معها في ذلك العالم المجهول ، ولكن تقاليد الحي لا تسمح بمثل هذا ، ولا بد من متطوعات يدخلن البيوت فيأمن الناس لهن ويكشفون لهن المستور .

لو وجدت الفتاة التي تضحي بحذائها الثمين وجورب الرقيق ، ولو وجد الشاب الذي يتحمل وساخة الحذاء والبنطلون ، ولو وجد المتطوعون والمتطوعات الذين لا تضيق صدورهم بالروائح الكريهة والذين يصبرون على مكاره السير في هذه الأحياء ومكاره الدخول لهذه البيوت ، لاستطاع الجميع أن يساهموا في إنقاذ هؤلاء المنكوبين .

ويقيني أن هذه الأحياء وسكانها لو وجدت رعاية إنسانية من هؤلاء المتطوعين بدراسة حالة كل بيت ، ومعرفة موارد كل عائلة ، وطريقة ارتزاقها ، وأنواع ضرورياتها ، لأمكن النهوض بها بدون تدخل من السلطات المسئولة .

إن إرشاد هؤلاء السكان إلى بعض القواعد الصحية كفتح بعض النوافذ ونقل القمامة المنزلية بعيدا عن الطرقات ، وعدم التبرز بجوار الجدران ، وتوزيع بعض المواد اللازمة للنظافة كالصابون والملابس ، ومنح بعض الضروريات كالأرز والعدس ... ثم محاولة

إرشاد الأهلين إلى موارد رزق جديدة تزيد من دخلهم وترفع مستواهم العقلى بالتنوير والتعليم الممكن ... إلى مثل هذه الخدمات كفيل بتغيير هذه الحالة المؤذية للشعور الإنسانى .

ومكاتب الخدمة الاجتماعية مشروع جليل من هذه الناحية ، ولكنه فى حاجة إلى المتطوعين والمتطوعات فى جميع الأحياء ، و ١٠,٠٠٠ متطوع ومتطوعة هو الحد الأدنى فى نظرى لدراسة حالة جميع السكان فى جميع الأحياء المحتاجة للدراسة .

وإن وزارة الشؤون الاجتماعية لتؤدى عملا جليلا حين تولى هذا المشروع عنايتها الكاملة ، وحين تعممه فى جميع أنحاء العاصمة بل العواصم والقرى جميعا ، ففى كل مدينة وكل قرية شباب فارغ ووقت ضائع ، وبجوارهما بؤس مخيم ومحتاجون للخدمة الاجتماعية .

وقد لا يكون هذا علاجا أساسيا للداء الأصيل ، ويكون العلاج الحاسم هو زيادة الموارد الفردية والموارد العامة حتى تختفى هذه المظاهر المؤذية من حياة البلاد ؛ ولكن كم يا ترى ينقضى من الوقت ويبذل من الجهود لتحقيق هذا العلاج الحاسم ؟ إنه ولا شك وقت طويل وجهد شاق ؛ والحالة الواقعة لا تحتمل الانتظار حتى تتحقق هذه الآمال العريضة ، فمن الواجب أن نجرب الآن كل وسيلة محدودة لتغيير الواقع الذى نراه .

وإننا لنذكر بالخير وزارة الصحة فى هذا المقام على مشروعها الذى يقضى بإزالة الأحياء القذرة الموبوءة فى مشروع السنوات العشر ؛ ولكنا نخشى أن تكون إزالة هذه الأحياء كلها فى حاجة إلى مبالغ ضخمة جدا لا تحققها الميزانية العامة إلا بعد زمن طويل .

وعلى أية حال ، لا ينبغى لنا أن نبقى مكتوفى الأيدى فى انتظار تلك المشروعات الضخمة ونحن نرى مواطنين أعزاء يحيون هذه الحياة فى القاهرة عروس الشرق وعاصمة الدار ... !

إن فى عنق كل شاب وكل فتاة دينا لا ينقضى حتى يزور حيا من هذه الأحياء المنتشرة فى أحياء العاصمة ويشترك فى تقديم خدمة اجتماعية من الوقت أو من المال أو من الجهد فى سبيل هؤلاء المواطنين الأعزاء .

وإن فى عنق كل ثرى وكل ثرية دينا لا ينقضى حتى يستجيب لدعوة المتطوعين والمتطوعات من أجل سكان هذه الأحياء المحرومة من الضروريات .

ولن يغفر لنا الوطن ولن يغفر لنا العالم المتحضر أن نقعد عن هذه الخدمات الاجتماعية فى ارتقاب المشروعات الحكومية الضخمة التى قد يطول انتظارها ، أو فى ارتقاب المعجزات السماوية التى تنقذ هؤلاء الألوف من المواطنين .

ولنذكر دائما أن الخدمة الاجتماعية هى السمة البارزة للعصر الذى نعيش فيه ، وأنها مقياس لا يخطئ على درجة التحضر ومقدار الرقى العام ، وأن الأجانب يزورون هذه الأحياء ويحتفظون بمجموعات من الصور الفوتوغرافية لمشاهداتهم فيها ثم يحكمون علينا مما يشاهدون وهو أصدق مما نحاوله بالدعاية والإعلان !

ملاحظات عابرة :

فاعل خير — هموم الناس — السخط والتشاؤم

(١)

يلاحظ القارئ لقوائم التبرعات بالصحف فى هذه الأيام ظاهرة طيبة، تلك هى ورود أرقام لتبرعات مالية يكتب أمامها " فاعل خير " أو " مجهول " وهى علامة خير لاشك فيها ودليل على ارتفاع الروح الأدبية ونمو فكرة الاحسان فى بعض النفوس والاقدام على فعل الخير مجردا عن حب الشهرة وعن الرياء .

" فاعل خير " قال حسن فى أمة يتبرع المتبرعون فيها وهم يتلفتون حولهم ليتأكدوا من وجود مندوبى الصحف وليتفاوضوا قبل ذلك فى " التعويض المناسب " عن هذه الخسارة المحققة ! وليضمنوا الصفقة الرابحة من لقب أو منصب أو قضاء أشغال !

فاذا وجد فى هذه الأمة من يتبرع بلا دافع من هذه الدوافع المعروفة ، ومن يقاوم مع ذلك إغراء النشر والاعلان ، فتلك ظاهرة تستحق التسجيل ، وذلك مطلع فجر جديد جميل

وبهذه المناسبة نذكر أن التبرعات لإنشاء الوحدات الصحية والمساهمة فى "تحسين الصحة القروية" لا تزال بطيئة وقليلة بالقياس الى النشاط الذى بدأت خطواتها به ، والذى توقعنا بسببه رقما عاليا لهذه التبرعات .

لقد تفاءلنا خيرا حين بدأت التبرعات من ذات الألف تتوالى على وزير الصحة ، فقلنا : إن المقدر فى الأصل للمشروع حوالى مليونين ونصف المليون من الجنيهات فى كل عام ، وأن الذى اعتمد وسيعتمد فى سنى الحرب هو ستمائة ألف جنيه فى العام ، وقلنا : إننا نرجو أن تنهض التبرعات الشعبية بما عجزت عنه الميزانية الحكومية فى العام الحاضر وإن هم إلا ألفان من الأغنياء يتبرع كل منهم بألف جنيه فقط فيكمل المبلغ المراد !

لقد كان ذلك — فيما يبدو — حلما جميلا رأيناه ، لا أملا ممكنا توقعناه . ولكننا نود أن نستغرق طويلا فى هذا الحلم الجميل ، إذا كان تحقيقه فى عالم الواقع من المستحيل

ورحم الله " كارنجى " ذلك الرجل المحسن العظيم الذى تبرع بثمانية وتسعين مليونا من الجنيهات من بين مائة مليون ، فلما استغل المليونير الباقين فصارا خمسة ملايين تبرع بها أيضا على أن تنفق بعد الوفاة .

رحم الله ذلك " المجنون " فى عرف أغنيائنا " العقلاء " الذين يعرفون كيف يبخلون على الوطن الذى منحهم الثراء ، ويعرفون كيف يتبرعون على شرط أن يحصلوا على الجزاء ، وما أفدحه من جزاء !

(٢)

"ما استحق أن يولد من عاش لنفسه فقط" ذلك هو شعار المتطوعين للإسعاف ، فما أجدره أن يكون شعارا لكل فرد فى المجتمع .

وإن العين لتقع على الكثيرين فى مصر ممن لا يستحقون أن يولدوا ، أولئك الذين يجعلون أنفسهم محورا لحياتهم ، ويجعلون رغائبهم أقصى أهدافهم .

إن الدنيا لتضطرب من حولهم ، وإن المجتمع ليموج من خلفهم ، وإن هموم الناس لتبدو لأعينهم ، ولكنهم فى شغل عن ذلك كله بنفوسهم ، وفى غفلة عن هذا كله بهمومهم

ولن تكون همومهم هذه إلا تافهة رخيصة ، تتعلق باشتهاء لذة ، أو حرمان من متاع ، أما هموم الإنسانية الراقية ، ومشاغل الحياة العالية ، فلن تعرف الطريق إلى نفوسهم الصغيرة ، ولن تنفذ إلى قلوبهم الحقيرة .

أعرف شبانا وفتيات تشغلهم وتشغلهن أحدث الموديلات فى البذلات والفساتين ، وفى الجوارب والمناديل وفى كى الشعر وتصفيفه ، ثم يشغلهم ويشغلهن التفكير فى الحفلات والسهرات ، وفى اللذائذ والشهوات . حتى إذا مر بالوطن حادث ، أو كرث المجتمع كارث ، أو تعرض جيرانهم الأقربون لأذى لم يبلغ صدى ذلك كله إلى قلوبهم ، وإن وصل إلى أسماعهم اتخذوه مادة للسخرية ، ومنبعا للفكاهة ، وسببا للنكتة .

وإن هؤلاء جميعا ليعيشون ويموتون محصورين فى هذا الأفق الضيق السخيف كما تموت الديدان والحشرات بلا ذكرى ولا تاريخ .

وأعرف شبانا وفتيات — وإن كانوا وكن أقل عددا — نفوسهم متفتحة لكل حدث عام ، يلمس حسهم ما يلمس الوطن فيتوفزون ، وينهزهم ما يهز المجتمع فيثبون ، ويهمهم ما يهم الناس فيشاركون .

وإن هؤلاء جميعا ليعيشون نابهين ، ويموتون مذكورين ، ويخلدون فى وسطهم أو فى وطنهم ، أو فى عالم التاريخ . وإنهم ليحيون حياة واسعة حافلة ، ويموتون ميتة شريفة عظيمة .

والأولون دليل انحلال وأفول ، والآخرون دليل نهضة وارتقاء ، فليكن لمصر فى شبانها وفتياتها من هؤلاء الأخيرين عدة للمستقبل ، وسلاح للكفاح فى عالم يتهيأ للظهور من وراء هذه الحرب الضروس .

(٣)

فى مراحل الانتقال — كالمرحلة التى نجتازها الآن — يكثر عدد الساخطين وعدد المتشائمين كلما كثر عدد العابثين وعدد المستهترين. والساخط دليل حياة، أما المتشائم فدليل موت .

الساخط إنسان حساس، لا يطيق الشر ، ولا يصبر عن الخير ، يستعجل خطوات الزمن ، ويستبطئ خطا الإصلاح ؛ و ينفر من الواقع الذى لا يرضيه . والمتشائم إنسان مريض الحساسية، يائس من الخير ؛ مستعظم للشر ، لا يرجو إصلاحا ، ولا يحاول تغييرا، ولا عقيدة له فى الحياة .

وقد تتشابه مظاهر السخط ومظاهر التشاؤم فى أول الأمر ، فكلاهما تبرم بالواقع وألم من الحاضر ، ولكنهما يفترقان بعد ذلك تمام الافتراق . فأما السخط فيدفع صاحبه إلى العمل لتغيير الواقع واستكمال النقص وتحسين الحال، وأما التشاؤم فيدفع صاحبه إلى الانزواء عن الحياة والانحسار عن المجتمع ، وترك الحال والمآل .

ونحن — فى مرحلة الانتقال — فى حاجة إلى عدد كبير جدا من الساخطين ، ولسنا فى حاجة إلى واحد فقط من المتشائمين ، لأننا فى حاجة إلى الحركة لا إلى الجمود، وإلى العمل لا إلى القعود ، وإلى الإصلاح العاجل لا للاستسلام للفساد .

ويجب ألا نخشى السخط على النقص والفساد ، فمن هذا السخط نستمد الحرارة للعمل ، والقوة للجهاد ؛ ولو رضى الجميع عن الواقع ما فكر أحد فى الإصلاح ، ولما سارت عجلة الحياة إلى الأمام ، ولا وجد الدواء لما نشكوه من الأدواء .

ومتى تحولت حرارة السخط إلى حركة إصلاح ، كنا فى أمن من كل ما نخشاه منه ونتوقعه إنما يخشى السخط المحتبس الذى لا يتحول إلى حركة منطلقة ؛ والأمم فى فورات نهضتها تريد السرعة وتضيق بالبطء ، وتدفع العجلة إلى الأمام بعنف . وهذا كله خير لأنه أفضل من الجمود أو الهمود .

فلنرحب بالسخط الحار ولنحارب التشاؤم البارد ، بل لنتعلم كيف نسخط على النقص لنتعلم كيف نرحب بالكمال ، ولنألم من الحاضر لنضمن الاستمتاع بالمستقبل ، فالسخط والألم دليلان على الحياة كالاستبشار والرجاء سواء بسواء .

تمثيلية اجتماعية

مروحة الليدى وندرمير

بقلم اوسكار وايلد

ماربريت فتاة حرمت حنان الأم وهى فى المهد فشبت لا تعرف سوى أبيها الذى يدأب دائما على ذكر أمها وتصويرها فى أحسن صورة، ويرى أن الفضائل الحسنة والسجايا الحميدة إنما هى قطرة من فيض رفعة أخلاق والدتها وسمو نفسيتها .

نشأت الفتاة وهى تقدس ذكر أمها وتخيلها دائما المثل الأعلى لها فى حياتها، وتضعها من نفسها موضع القداسة ؛ فهى شابة طيبة القلب نقية السريرة كما أها الله على طهارتها بزوج خير طيب هو اللورد وندرمير ، أحبها وأحبته وعاشت واياه على أتم ما يكون الوفاق والحب بين الزوجين المخلصين حتى منّ الله عليهما بمولود توج صلتهما بتاج الأبدية، وربطهما برباط الخلود .

يبدأ الفصل الأول حيث تكون الليدى وندرمير تزين قاعة الاستقبال بالورود الجميلة التى اقتطفتها لتضفى على المنزل من روعتها سحرا وجاذبية ، وحتى تدخل السرور الى قلب زوجها وقلوب مدعويها ، فالليلة هى ليلة عيد ميلادها . وبينما هى فى عملها إذ يعلن الخادم مجئ اورد دارلنجتون فيدور بينهما حوار حول الرجل والمرأة وهل يقترفذنب أحدهما إذا ما أخطأ ، فتصر الليدى على أن المخطئ يجب أن يعاقب والمرأة والرجل فى ذلك سواء ، فيطريها لورد دارلنجتون ويمتدحها ويثنى على جمالها وفتنتها فتمنعه بلطف وترجوه أن يراعى أنها لا تستسيغ هذا النوع من الاطراء وأن السيدات وان كن يرين فيه شيئا عاديا لا غبار عليه فهى تعتبره ماسا باخلاصها لزوجها .

ثم تدخل عليها الدوقة (أوف بروك) وابنتها (الليدى أجاثا) فيدور الموضوع حول أولئك السيدات اللواتى يزججن بأنفسهن فى المجتمعات ويجتذبن الأزواج ثم تلمح لها بأن اللورد وندرمير زوجها قد وقع فريسة حب سيدة دخيلة على المجتمع تدعى مسز ايرلن وأنه يشاهد كثيرا بصحبتها بل وفى بيتها ويغدق عليها من أمواله الشىء الكثير .

تفزع الليدى وندرمير من هذا الاتهام ولا تصدق فى بادئ الأمر ثم تتشكك تحت تأكيد الدوقة واصرارها على اتهام زوجها ، وتبارحها الدوقة بعد ذلك وهى فريسة للشك والاستغراب فتخلو الى نفسها ولا تكاد تصدق أن زوجها الذى تحبه وتتفانى فى حبه

والاخلاص له ، والذى يريها من صنوف الولد بها ، والعطف عليها ما لا يكاد يكون بين زوجين ، لا تصدق أن مثله يمكن أن يكون خداعا ، وأن يبلغ به الخداع حد الاجادة بحيث تراه دائما فى ثوب الطهارة والبراءة ..

يعصف بها الشك ، وتقطعها الغيرة ، ويثور كبرياؤها ، فتقتحم مكتب زوجها بعد تردد لتتبين ما اذا كان لزوجها علاقة بتلك المرأة ، وهل هو يمدها حقيقة بالمال ؟ . اذا كان الأمر كذلك فسيحدثها دفتر شيكاته بالخبر اليقين . تبحث عن الدفتر فتجده عاديا وليس فيه ما يوحى بأن الزوج قد أعطى أحدا أى مبلغ ، فتطمئن وتقول لنفسها .

حقا إن زوجى من أخلص الأزواج ، وإن هذه المفتريات لا تعدو أن تكون من لغو الحديث .

وبينما هى تضع دفتر الشيكات إذا بها تجد غلافا مغلقا ، فتفتحه من باب الاستطلاع وتخرج محتوياته فترى دفتر شيكات آخر... إذن فكل ما قيل صحيح !

تصدمها الحقيقة ، وتأخذ عليها سبل التفكير ، ويقع عليها الأمر وقوع الصاعقة ، فتنتابها الوساوس وتخيم عليها الأفكار السوداء ، وتكاد يجرفها الألم القاتل ، وعندئذ يدخل زوجها ، فتثور فى وجهه ، وترميه بالخيانة ، وبعلاقته الأثيمة بتلك المرأة المسماة المسز ايران ، وتسب مزاحمتها سبا قاسيا ، وترميها بالخسة والانحطاط فيحاول الزوج أن يدافع عن نفسه وعن المسز ايران فتأخذ عليه سبل الرد بتلك المبالغ التى دفعها ، فيثور ويستنكر أن تعتدى زوجته على أوراقه الخاصة ، ويعد هذا العمل شيئا لا يليق بزوجة تخلص لزوجها وتعرف حقوقه ، وتحترم خصوصياته ، ولكنها تبرئ نفسها بأن هول ما عرفته عنه قد أعماها عن واجبات اللياقة ، وأن كل التقاليد لا تجسر على الوقوف أمام المرأة المطعونة فى كبريائها .

تهدأ ثائرة الزوج ويرثى لزوجته ويقدر شعورها ، فيحاول أن يهدئها ويشرح لها حقيقة الموقف قائلا :

— مرجريت ، أنت لا تعرفين حقيقة المرأة التى ترمينها بكل هذه الألفاظ ، وانى لواثق أنك لو عرفت حقيقتها لرثيت لها . لست أحاول أن أبرئ تلك المرأة أمامك ، ولكن يكفينى أن أقول لك إنها كانت تحتل فى الماضى مكانة لا تقل عن مكانة أولئك السيدات اللواتى يتكلمن عنها ، ويترفعن عن مجرد ذكر اسمها . لقد كانت امرأة تحتل مكان الصدارة فى المجتمع ، ولكنها انزلقت فلفظها المجتمع ، وتركها تتخبط فى تلك الطرق الملتوية التى يطرقها أمثالها ممن زلت بهم القدم ، ولكن ها هى ذى تعود ثانيا تائبة مستغفرة ، مقسمة أن تسلك سبيلا طيبا ، وأنها تريد أن تصلح من شأنها ، وتستعيد مكانتها الأولى ، ورجتنى أن أعاونها ، واستعطفتنى ، فلم أملك إلا أن وعدتها بالمساعدة ، وبذلت كل جهدى فى سبيل انتشالها من ورطتها ، فهل تبخلين بالمساعدة لمن تاب واستغفر ورجع إلى طريق الحق . إننى واثق أنك ستكونين أول من يلبى نداء الإنسانية ، فتعملين على تحقيق غرضها فتقدمينها الى المجتمع ، ولذلك أطمع ان تدعيها لحضور حفلة عيد ميلادك هذه الليلة .

ظلت الزوجة صامتة حتى فاجأها زوجها بالسؤال الأخير فثارت وقالت : أنا ، أدعو تلك المرأة الى منزلى ، كلا وألف كلا ، ان تطأ منزلى ، وان أوجه إليها دعوة .

— مرجريت ... إنك بدعوتها تعملين عملا طيبا تثابين عليه .

— كلا .

— وإذا رجوتك ؟

— أرفض .

— إذن ليس هناك إلا شيء واحد ؟

— ما هو ؟

— أدعوها أنا (ويجلس فيحرر دعوة باسم المسز إيرلن ويعطيها للخادم ليوصلها إليها) بينما تقول الزوجة .

— إذا جاءت فلن أستقبلها ، بل وأزيدك علما أنى سأصفعها على وجهها بمروحتى هذه التى اهديتنيها (وتخرج غاضبة) .

يكاد يغمى على الزوج من شدة الانفعال ويقول : رباه ، لو أخبرتها الحقيقة لمست كبرياءها ولنالت منها .

* * *

وإذا كان الفصل الثانى رأينا قصر الليدى وندرمير وقد ازدان بالأنوار الوهاجة والأضواء الساطعة ، وبدأ المدعوون يفدون على القصر ، وكلهم من علية القوم ، تستقبلهم الليدى وزوجها ، وقد ظهرت على وجه الليدى علامات الألم الممزوج بالإصرار والعزم ، وبينما كان الخادم يعلن أسماء المدعوين وهم يفدون الواحد تلو الآخر ، انفرد اللورد وندرمير بزوجته بعد الحاح ، ورجاها أن تقلع عن عزمها و وتستقبل المسز ايرلن استقبالا حسنا ، فرفضت بإباء ، فقال لها :

— إذا أصررت على تنفيذ ما عزمت فستتسببين فى إحداث كارثة . وعوّل على مصارحتها بالحقيقة التى يعرفها . وما أن هم بذلك حتى أخذ الخادم يعلن فى صوت عال : المسز ايرلن .

دوت هاتان الكلمتان فكان لهما وقع شديد فى نفوس المدعوين وكلهم من الطبقة العالية وأخذوا جميعا خصوصا بعد أن بدت المسز ايران فى أبهى زينتها . لم يتقدم أحد لاستقبالها فربّة البيت قد أخذت بمرآها وارتبكت فسقطت منها مروحتها ولم تتقدم خطوة واحدة ، ولاتدرى الليدى نفسها شيئا عن سر ما أصابها من ارتباك ، ذلك السر الذى سلب إرادتها فأقعدها عن تنفيذ ما اعتزمت . لم تطل مدة ارتباك المسز ايرلن فقد تقدم اليها اللورد وندرمير مرحبا ، واصطحبها ليقدمها إلى المدعوين .

نجحت المسز ايرلن فى اجتذاب المدعوين اليها ، بل تعلق الجميع بها ، وأصبحت محط عنايتهم واهتمامهم حتى أن الدوقة اوف بروك دعتها لتناول الغداء على مائدتها وهى التى

كانت فى الفصل الأول تزدريها وتحقر من شأنها وترميها بكل شنيع ، وكان أكثر المدعوين اهتماما بها اللورد أوجستس صديق اللورد وندرمير ، وكان قد رآها وأعجب بها قبل الحفلة وسمع عنها كل ثناء من صديقه اللورد وندرمير ، حتى صمم بينه و بين نفسه أن يخطبها .

والوحيدة فى الحفل التى لم تحاول الاتصال بالمسز ايرلين هى الليدى وندرمير ، فهى رغم محاولات المسز إيرلين للتعرف بها لم تعرها اهتماما ، بل كانت تزدريها وتشيح عنها ، وكانت تبدى اشمئزازها كلما رأت زوجها برفقتها يتحدث اليها .

لحظ اشمئزازها ونفورها اللورد دارلنجتون فاستغل الفرصة وصارحها بما فى نفسها وأضاف إلى ذلك أنه يحبها و يتمنى لو رضيت به زوجا بعد أن خانها زوجها وهجرها إلى تلك الدخيلة ذات السمعة السيئة ، و يزين لها حياتها معه ، ولكنها ترفض وتفضل أن تعيش مخلصة لزوجها ولوحانها . يصدم و يقرر الرحيل إلى الخارج كى يعيش ليقدس ذكرها و يسلو حبها ، ويبارح الدار قاصدا منزله .

تشتد غيرة الزوجة خصوصا بعد أن انصرف المدعوون ، وخلت المسز ايرلين إلى اللورد وندرمير وأخذا يتحدثان عن المبلغ الذى ينوى اللورد منحه لها كى تستعين به على الزواج من اللورد أوجستس الذى تقدم لخطبتها ، فتفضل المسز ايرلين أن يكون حديثهما فى الشرفة فتراهما الزوجة وتقوى شكوكها ، فتستشيط غضبا وتعول على الهرب وتجلس إلى المكتب لتكتب خطابا إلى زوجها تودعه فيه وتبين له أسباب هربها ، و بعد أن تتم خطابها تضعه فى غلاف وتعنونه باسم زوجها وتخرج .

تدخل المسز ايرلين باحثة عن ربة المنزل لتودعها وتحاول ما استطاعت أن تتودد اليها ، فيخبرها الخادم أنها قد غادرت الدار بعد أن تركت خطابا لزوجها ، فيبدو الجزع على وجهها وتسرع بتناول الخطاب ، وتمزق غلافه بيد ترتجف وهى تقول ! أيمكن أن يحدث للابنة ماحدث للام من عشرين سنة ، زباه لن يكون ذلك .

وتصرخ بعد أن تنتهى من قراءته قائلة : أواه ، إن التاريخ يعيد نفسه ، وتحاول أن تسرع للحاق بها ، وفى أثناء ذلك يفاجئها اللورد وندرمير ، فتخفى الخطاب وتتظاهر بالمرح كعادتها ، وحينما يسألها عن زوجته تدعى أنها قد لازمت الفراش لتوعك بسيط أصابها ، فيظهر الألم على وجهه و يهم بالصعود اليها لولا أنها تستوقفه زاعمة أنها قد طلبت ألا يقربها أحد فى هذه الليلة لأنها فى حاجة إلى الراحة التامة ، فترجوه أن يبحث لها عن عربتها ، و بعد خروجه يدخل اللورد أوجستس ، فترحب به ، وتطلب منه أن يؤدى لها خدمة . و بعد أن يضع نفسه تحت تصرفها ، تطلب منه وهى تلوح له بقبولها الزواج أن يصطحب اللورد وندرمير إلى النادى ، وأن يعمل على إبعاده عن المنزل أطول مدة ممكنة ، فيوافق .

*
* *

يبدأ الفصل الثالث فى منزل اللورد دارلنجتون ، فترى الليدى وندرمير وحيدة فى قاعة الاستقبال ؛ وهى مضطربة تقطع الغرفة جيئة وذهابا ؛ تقعد تارة وتقف أخرى ، حائرة بين ثورة النفس ويقظة الضمير ، وعندما يتغلب عليها شعورها النبيل ، وتكاد تهم بمبارحة الدار عائدة الى منزلها ، تدخل عليها المسز ايرلين شاحبة الوجه مرتعدة الأوصال ، وترجوها فى توسل أن تعود إلى زوجها وولدها وألا تتسبب فى هدم عشها ، فترى الليدى فى ذلك إهانة لكبريائها ، وتظن أن اللورد هو الذى أرسلها اليها زيادة فى النكاية بها ، فتثور وتصمم على عدم العودة ، وعبثا تحاول المسز ايرلين ان تقنعها بالعودة ، رغم احتمالها منها ماتفوهت به من كلمات التحقير والازراء وهى فى سورة غضبها وتقول لها : أنت لاتدرين ياليدى وندرمير شيئا عن الطريق الشائك الذى تسلكه المرأة التى تصنع مثل ماصنعت وتهجر بيتها . سيعقب هذه الخطوة خطوات لا يعلم إلا الله مداها . ستتلقفك الأيدى وتعصف بك الأنواء ، وتزأر من حولك الرغبات ، فتقفين وأنت محطمة منبوذة ، تحتقرك الهيئة الاجتماعية وتزدريك ، وأنت عرضة للتفولات أينما ذهبت .

وتظل تضرب لها على هذه النغمة وتحدثها حديث المجرب وفى صوت كله ضراعة وإخلاص ، وتكاد عاطفتها تتغلب عليها وتهم بمصارحتها بحقيقة صلتها بها ، ولكنها تصمت أخيرا حرصا على سعادة ابنتها ، وتعيد الرجاء ثانيا ، فلا تملك الليدى الا أن تتأثر وتهم بمرافقتها إلى منزل زوجها ، وإذ بوقع أقدام يقترب ، فتضطرب المرأتان ، ويظهر الشك فى عينى الليدى وتكاد تتهم المسز ايرلين مرة أخرى بأنها قد دبرت لها مكيدة للإيقاع بها ، وخصوصا بعد أن اقتربت الأصوات وتبين بينها صوت زوجها ، ولكن المسز ايرلين تدفعها نحو ستار فى صدر الغرفة لتختبئ خلفه وتوصيها بالحرب اذا ما حانت الفرصة . وفى عجلتهما تنسى الليدى مروحتها التى كانت قد أحضرتها معها ، بينما تختبئ المسز ايرلن فى الغرفة الداخلية .

يدخل رب الدار اللورد دارلنجتون ومعه اللورد وندرمير واللورد أوجستس وبصحبتهم صديقان هما المستر جراهام والمستر وسبى . وبعد أن يستقر بهم المقام يتناولون فى حديثهم موضوع سفر اللورد دارلنجتون المفاجئ ، يتساءلون عن الأسباب . فيخبرهم أخيرا وبعد إلحاح عن فشله فى حب امرأة متزوجة لم تبادله الحب ، ويؤكد لهم رغم ذلك أنها امرأة طاهرة وفية لزوجها تستحق كل تبجيل واحترام ، وأنه سيعيش بذكرها بعيدا عن كل النساء ، فيسخرون منه ويتفرقون فى أنحاء الغرفة ، فيلمح المستر جراهام مروحة الليدى وندرمير على أحد المقاعد فيضج بالضحك ويدعو الجميع الى رؤية مايضمه منزل الرجل الذى يدعى انقطاع صلته بالنساء ، فلاشك أن وجود المروحة الخاصة بامرأة دليل على وجود امرأة فى البيت .

يتزاحمون جميعا لرؤية المروحة فتقع عين اللورد وندرمير على مروحة زوجته فيعرفها ويمسك بها محدقا ويصيح فى وجه اللورد دارلنجتون متسائلا عن سبب وجود تلك المروحة

فى بيته ، فتبدو الدهشة واضحة على وجه رب الدار ، ويفطن إلى وجود الليدى فى منزله ، فيرتبك لحظة يكون فيها اللورد وندرمير قد صمم على تفتيش المنزل ، ولكن شجاعة رب الدار لم تلبث أن تعود اليه فيمنع اللورد من التفتيش مهددا . يتحرك الستار فيهجم عليه اللورد وندرمير ، ولكنه يتراجع اذ يفتح الباب الجانبى وتظهر منه المسز ايرلن .

تلجم الدهشة ألسنة الجميع ويلتفتون اليها ، وقد سادهم الصمت ، وفى أثناء ذلك تكون الليدى وندرمير قد انتهزت الفرصة — وهى آمنة أنظار الحضور المأخوذتين بتطور الموقف — وتسللت الى الخارج . تتقدم المسز ايرلن اليهم وهى تقول :

— معذرة أيها السادة ، لقد أخطأت وأخذت مروحة الليدى وندرمير أثناء خروجى من منزلها بدلا من مروحتى .

* *

وفى الفصل الأخير تبدو الليدى وندرمير فى منزلها وهى جالسة على أحد المقاعد ، تأسف أشد الأسف على تصرفها الليلة الماضية ، وتحدث نفسها معجبة بكرم المسز ايرلن وعظم تضحيتها وتقول :

— كم نقول على هذه صالحة من النساء وتلك سيئة ، وكم تسخر منا الحقيقة . سأخبر زوجى بكل ما حدث .

يدخل اللورد وندرمير ويقترح عليها الرحيل الى الخارج تبديلا للهواء . توافقه مسرورة ، ولكنها تستمهله حتى ترد زيارة المسز ايرلن . يعارض الزوج بشدة ويمنعها من مجرد التفكير فى تلك الزيارة ، ويحرم عليها استقبالها فى منزلها قائلا إن تلك المرأة ليست جديرة بالاحترام بعد أن اتضحت حقيقتها أخيرا ، وأنه كان يعتقد أنها مجنى عليها ، وقد أراد أن يساعدها على استرجاع مكانتها الأولى فى المجتمع ، ولكن عبثا حاول ، فقد خدعته تلك المرأة واتضح أنها امرأة فاسدة شريرة .

تنبرى الليدى للدفاع عن منقذتها بحرارة وإخلاص يدهشان اللورد ، وفى أثناء ذلك يعلن الخادم مجىء المسز ايرلن لرد مروحة الليدى . فتطلب منه سيدته ادخال الزائرة ، يثور الزوج ويحتد ، وينعكس الموقف الذى وقفاه حيال المسز ايرلن فى الفصل الأول .

تدخل المسز ايرلن مرحة كعادتها فتقبل عليها الليدى مرحبة بينما يقف اللورد وهو لا يكاد يكظم غضبه . ويدور الحديث بين السيدتين فتقول المسز ايرلن :

— جئت أعتذر وأرد اليك مروحتك ، وأيضا لأودعك .

— تودعينى ، لماذا ؟

— سأسافر إلى الخارج .

— أرجو أن أراك مرة أخرى .

— لا أظن ذلك .

يبدو الألم واضحا على وجه الليدى ، وتشعر باحساس عجيب يدفعها الى المسز ايرلن ، فتطلب منها المسز ايرلن أن تهديها صورة لها هى وطفلها فتسرع لتلبية طلبها وتصعد لاحضار الصورة من غرفتها . وفى أثناء ذلك تشتد ثورة اللورد ، ويعنف المسز ايرلن على جرأتها بالعودة الى منزله بعد أن حدث منها ما حدث . فتجيبه بكل بساطة :

— إنه منزل ابنتى .

— لا تقولى انها ابنتك ، انت لا تملكين حق التفوه بهذه الكلمة المقدسة . من أين لك أن تعرفى عاطفة الأمومة ، أنت يامن قضيت حياتك فى الأوحال ، لقد خدعت بتوسلاتك لكى ارفعك إلى مكانتك فى الماضى وتحملت فى سبيل ذلك كل شىء حتى أمنع دارك عن زوجتى التى أحبها وأفتديها بكل شىء ، ولكنك أبيت حياة الفضيلة والشرف . أين لك الشعور بالأمومة ؟ ، ان الأم الحقيقية هى التى تعرف معنى انكار الذات فى سبيل اولادها ، ومعنى التضحية فى سبيل اسرتها ، فمن أين لك ذلك ؟

— لك الحق فى كل هذا ، ومع ذلك فقد شعرت بتلك العاطفة مرة واحدة فى حياتى ، وكانت هذه المرة بالأمس فقط ، أنا التى عشت عشرين سنة بلا قلب .

— لا يمكننى أن أصدق هذا الكلام ولن أسمح لك بارتياد منزلى مرة أخرى ، وحتى هذه الروحة لست أحب أن تمسك بها زوجتى بعد أن دنستها يداك .

— سأسأل ابنتى أن تعطينى اياها .

تدخل الليدى وتقدم اليها الصورة وتجلس إلى جانبها فى حنان زائد . فتشكرها المسز ايرلن وتسألها عن اسم ابنها . فتقول :

— لقد أسميته باسم والدى ، ولو كان بنتا لأسميته باسم والدتى رحمها الله .

— وماذا كان اسم والدتك ؟

— مارجريت ، كاسمى .

— وهو اسمى أيضا ، ماذا تذكرين عن والدتك ؟

— لقد ماتت رحمها الله وأنا صغيرة جدا كما قال لى أبى .

— وماذا كان يقول عنها أيضا ؟

— كان يقول إنها مثال الشرف والاستقامة ، وكان يقول أيضا إنها كانت كالملائكة فى طهارتها حتى صارت مثلى الأعلى فى الحياة ، ولذلك فأنا لا أصلى مرة إلا وأذكرها كما يذكر الناس الأنبياء ، ولم يحدث أن ذكرتها وفعلت ما أندم عليه ، ومرة واحدة لم أذكرها ، وكان ذلك بالأمس .

— وهبى أنك سمعت عن والدتك ما يخالف هذه الحقيقة ؟

— كان ذلك يقوض سعادتى .

— كلها ؟ .

— أجل كلها .

عندئذ هبت المسز ايرلن واقفة وهى تغالب ما اعتلج فى نفسها من عواطف ومدت يدها إلى الليدى مودعة . فالتفتت الليدى إلى زوجها الذى كان يرقبهما من طرف الغرفة وطلبت اليه أن يبحث عن عربة المسز ايرلن . و بعد خروجه التفتت اليها وأرادت أن تشكرها على عظم تضحيتها متمنية أن ترد لها الجميل . فقالت المسز ايرلن :

— أرجو ألا تشكرينى على العمل الطيب الوحيد الذى فعلته فى حياتى ، واذا كان هناك ما تفعلينه من أجلى فهو أن تنسى كل ما حدث فى الليلة الماضية . .

وعاد اللورد بعد أن وعدتها بذلك فكررت وداعها وسألتها أن تعطيها المروحة لتذكرها بها . فقدمتها مبتهجة رغم اعتزازها بهدية زوجها . و بينما هى تهم بالخروج اذ باللورد أوجستس الخطيب الغاضب يدخل فيفاجأ بوجود المسز ايرلن و يتعد عنها خلاف العادة ولكنها تجبره على حمل مروحتها واصطحابها إلى عربتها . و بعد خروجهما بلحظات يعود اللورد أوجستس وهو يكاد يطير من الفرح ، والبشر يعلو وجهه ويقول :

— لقد ظلمنا المسز ايرلن ، فهى لم تذهب عند اللورد دارلنجتون إلا لتبحث عنى لتخبرنى بموافقتها على الزواج منى ، فالمسكينة لم تستطع صبرا حتى الصباح ، إنى لسعيد حقا بموافقتها . .

تقبل عليه الليدى وزوجها وتسأله بفرح .

— أستتزوجان حقا ؟

— أجل ، إنها سيدة فاضلة .

فيقول اللورد :-

— وذكية أيضا .

سمير

طبعت هذه المجلة بالمطبعة الأميرية ببولاق
فى يوم ١٨ من صفر سنة ١٣٦٢
(٢٣ من فبراير سنة ١٩٤٣) ط
مدير المطبعة الأميرية
محمد بكرى

المطبعة الأميرية ١١٦٢٨-١٩٤٢-٣٥٠٠